

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله (٧)

تعليقات
سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
على
الرسالة الحموية الكبرى
لشيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله تعالى



طبع بإشراف مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز الخيرية





مدار الوطن للنشر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله (٧)

تعليقات
سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
على
الرسالة الحموية الكبرى
لشيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله تعالى

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الخيرية



مدار الوطن للنشر

ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله
تعليقات سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله على الرسالة الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله / عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن باز.
- الرياض ١٤٣٥ هـ
٢٥٨ص، ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٢-٤-٩٠٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨
١- التوحيد ٢- الفتاوى الشرعية ٣- الألوهية أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢٦٢١/ ١٤٣٥

رقم الإيداع: ٢٦٢١/ ١٤٣٥
ردمك: ٢-٤-٩٠٥٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ/٢٠١٤م



هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)
فاكس: ٠٠٩٦٦١١٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت:
www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني:
pop@madaralwatan.com

مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وصلى الله على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه أمّا بعد:

فيطيب لـ«مؤسسة عبدالعزيز ابن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم تعليقات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله على الرسالة الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ضمن سلسلة إصداراتها لشروح وتعليقات سماحته على كتب أهل العلم.

وفتوى الرسالة الحموية الكبرى كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأهل حماه ولذلك سميت «الحموية» وهي رسالة عظيمة بيَّن فيها عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بأسماء اللَّه وصفاته بنصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السلف الصالح، ودعّم إثبات أسماء اللَّه وصفاته بنقولات عظيمة من كتب السلف تثبت أسماء اللَّه وصفاته، وترد على أهل التأويل والتحريف والتمثيل عملاً بقول اللَّه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد علق عليها سماحة الشيخ رحمه الله بعبارات مختصرة مفيدة جامعة.

وقد رأت اللجنة العلمية في مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية إخراج هذا التعليق في كتاب مطبوع ليعم نفعه وخيره الأمة .

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخنا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة والأجر.

كما نسأل اللَّه تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكل من تسبب في إخراج هذه المادة وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ/عبدالعزيز بن عبداللَّه بن محمد آل الشيخ حفظه اللَّه، وفريق العمل العلمي بالرئاسة على ما بذلوه من جهد في مراجعة هذه المادة ومطابقتها.

كما نسأله أن يأجر كل من قرأها ونشرها، إنه سميع مجيب.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللَّجنة العلميَّة

بمؤسسة عبدالعزيز ابن باز الخيرية

تعريف المعلق بالمؤلف رحمهما الله جميعًا

ومن أبرز العلماء وأولاهم بالاتباع والعناية أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني العلَم المشهور شيخ الإسلام وهو من أبرز العلماء وأفضلهم، ولاأعلم على حسب ما اطَّلعت عليه، لا أعلم في زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله ودينه وأتقى لله منه، فيما ظهر لي من كتبه ونشاطه وغيرته لله رضي الله عنه ورحمه الله.

كان مولده سنة إحدى وستين وستمئة هجرية [٦٦١هـ]، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمئة من الهجرة [٧٢٨هـ] فقد عاش رحمه الله ثمانية وستون عامًا[١].

ثم يليه في المنزلة تلميذه البار، تلميذه الصادق العلامة ابن القيم رحمه الله، فهو من أكمل الناس علمًا وفضلًا وتقوى، فكلاهما جدير بأن يعنى: بكتبهما، فقد اعتنيا جميعًا بالأدلة الشرعية، والعلل المرعية، وترجيح الراجح، وتحميص الزائف في مسائل الخلاف بكل عناية، وبكل تجرد، وبعدا عن الهوى؛ لكن كل له أغلاط، كل له هفوات ليسا بمعصومين لا شيخ الإسلام، ولا العلامة ابن القيم رحمة الله عليهم، ولا غيرهما من أهل العلم؛ كل عالم له نصيبه مما أعطاه الله من العلم والفضل، وكل له أغلاط، كل له أخطاء؛ لكن هي: بالنسبة لعلمهم وفضلهم كقطرة في بحر.

وهكذا الأئمة الأربعة، وهكذا أهل العلم كل له بعض الأخطاء وبعض الأغلاط على حسب بصيرته في كتاب الله وسنة رسوله عليه

(١) نقلا من شرح سماحته للعقيدة الواسطية .

الصلاة والسلام، وعلى حسب ما بلغهم من العلم، فقد يبلغ العالم أكثر مما يبلغ العالم الآخر من الأدلة الحديثية، وقد يفهمون من الكتاب العزيز، ومن السنة ما لا يفهمه الآخر، فلهذا تفاوتوا، وتفاوتت مراتبهم في العلم؛ لذلك هم مختلفون في العلم والفضل هم طبقات، وقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابًا في هذا الشأن سماه: ((رفع الملام عن الأئمة الأعلام)) وهو كتاب جدير بالعناية كتاب مفيد مطبوع ويوزع من دار الإفتاء، ويباع في المكتبات هو كتاب جيد ومفيد يعرف به طالب العلم منازل العلماء، وأعذارهم فيما قد يقع من الأخطاء والأغلاط.

فالحاصل: أن أبا العباس ابن تيمية من خيرة أهل العلم وهو جدير بأن يعني بكتبه وأقواله، وهكذا تلميذه العلامة ابن القيم رحمة الله عليه، وهكذا أئمة الدعوة الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ومن سار في دعوته ونصر دعوته وألف فيها هم جديرون بالعناية، جديرون بأن يُعتنى بكتبهم، وما قرروه في توحيد العبادة، وفي الرد على أهل البدع، وفي نصر السنة، فلهم في هذا حظ وافر، ونصيب عظيم رحمة الله عليهم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يعتبر في المعنى شيخًا للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، وإن كان بينهما مسافة طويلة من الزمان؛ لكنه في الحقيقة شيخ له لعكوف الشيخ الإمام محمد على كتبه والاستفادة منها، ومن كتب ابن القيم، ومن أشباههم من أهل العلم والبصيرة.



سبب تأليف الرسالة الحموية

سُئل شيخ الإسلام العالم الرباني تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى وذلك فِي سنة ثمان وتسعين وستمائة، وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن(١)، وهو جواب عظيم النفع جدًا، فقال السائل:

ما قول السادة الفقهاء أئمة الدِّين فِي آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَت: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات، وأحاديث الصفات، كقوله ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»(٢) وقوله: «يَضَعُ الْجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ»(٣) إلى غير ذلك، وما قالت العلماء فِيه، وابسُطوا القول فِي ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى؟ فأجاب:

الحمد لله ربِّ العالمين قولنا فِيها ما قال الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والَّذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الَّذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق فِي هذا الباب وغيره، فإنَّ الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحقِّ؛ لِيُخرج

---

(١) أشار إلى بعضها تلميذه الحافظ ابن كثير فِي تاريخه «البداية والنهاية» (١٤/ ٤).

(٢) رواه مسلم من حديث عيد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فِي كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤).

(٣) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب التفسير باب قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] برقم (٤٨٤٨)، ومسلم فِي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٨).

النَّاس من الظُّلماتِ إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنَّه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أنْ يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا هو الحقُّ على جميع الخلق، هو اتِّباع ما دلَّ عليه كتاب اللَّه، وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ودرج عليه سلف الأمة، فِي باب الإيمان، فِي باب الإسلام، وفِي باب الأسماء والصفات، وفِي باب الأعمال، يجب سلوك مسلك السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ والسير على ذلك، والاستقامة على ذلك،وترك ماخالف ذلك من أقوال المتأخرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فمن الْمُحَال فِي العقل والدِّين أنْ يكون السراج المنير الَّذي أَخْرَجَ اللهُ به النَّاس من الظُّلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحقِّ؛ ليحكم بين النَّاس فِيما اختلفوا فِيه، وأمر الناس أن يرِدُّوا ما تنازعوا فِيه من أمر دينهم إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنَّه أكمل له ولأمته دينهم، وأتمَّ عليهم نعمته مُحالٌ مع هذا وغيره، أنْ يكون قد ترك باب الإيمان باللهِ، والعلم به مُلْتبسًا مُشتبهًا، ولم يُميِّز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى، والصفات العُليا، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه، فإنَّ معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

لأنَّ أصل الدِّين هو الأساس، فأفضل ما أدركته القلوب والعقول، وأفضل ما اكتسبته العقول والقلوب، وأفضل ما فعله واعتقده الناس، هو الإيمان باللَّه ورسوله، والإخلاص للَّه، والتَّصديقُ بأنَّهُ الحقُّ، وأنَّهُ المعبود بالحقِّ، وأنَّ رسوله محمدًا ﷺ حقٌّ، وأنَّ ما جاء به حقٌّ، هذا هو أصل الدين وأساسه، ولا طريق إلى هذا إلا بالكتاب والسنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلقِ الله بعد النَّبيِّين لم يُحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولا؟ !ومن المحال أيضًا: أنْ يكون النبي ﷺ قد علَّم أُمَّته كُلَّ شيءٍ حتى الخراءة، وقال: **«تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلا هَالِكٌ»**[(١)] وقال فِيما صح عنه أيضًا: **«مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ، أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُم»**[(٢)].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: «لَقَدْ تُوُفِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إلا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلمًا»[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وابن ماجه فِي المقدمة، باب اتّباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم (٤٣) وصححه الحاكم فِي كتاب العلم برقم (٣٣١) وسكت عنه الذهبي التلخيص مع المستدرك (١/ ١٧٥)، كما أخرجه ابن أبي عاصم فِي السنة (١/ ٢٧) برقم (٤٨، ٤٩) والآجري فِي الشريعة (ص٤٧)، جميعهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فِي كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢) والبزار فِي مسنده برقم (٣٨٩٧)، والطبراني فِي الكبير (٢/ ١٦٦) برقم (١٦٤٧) وذكره الهيثمي فِي مجمع الزوائد فِي كتاب علامات النبوة =

وقال عمر بن الخطاب: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مَقَامًا، فأخبرنا عن «بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَه» رواه البخاري[1].

ومُحال مع تعليمهم كل شيء لهم فِيه منفعة فِي الدِّين ـ وإن دقت ـ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه فِي قلوبهم فِي ربِّهم ومعبودهم ربِّ العالمين الَّذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب؛ بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يَتوهم من فِي قلبه أدنى مُسكة من إيمان وحكمة، أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟ ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا فِي هذا الباب زائدين فِيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضًا أن يكون القرون الفاضلة: «الْقَرْنِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2] كانوا غير عالمين، وغير قائلين فِي هذا الباب بالحقِّ المبين؛ لأنَّ ضد ذلك إمَّا

= باب فِيما أوتي من العلم (٨/ ٢٦٣) وذكر نحوه عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(١) فِي كتاب بدء الخلق، باب ما جاء فِي قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا۟ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧] برقم (٣١٩٢). وأخرج نحوًا منه عن حذيفة رضي الله عنه فِي كتاب القدر باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨] برقم (٦٦٠٤)، ومسلم فِي كتاب الفتن باب إخبار النبي ﷺ فِيما يكون إلى قيام الساعة برقم (٢٨٩١).

(٢) فقد جاء هذا اللفظ عن عدد من الصحابة منهم عمران بن الحصين رضي الله عنهما، أخرجه البخاري فِي كتاب فضائل الصحابة باب فضل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم برقم (٣٦٥٠، ٣٦٥١)، ومسلم فِي كتاب فضائل الصحابة أيضًا باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم برقم (٢٥٣٥).

عدم العلم والقول، وإمَّا اعتقاد نقيض الحقِّ، وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع:

أمَّا **الأول**: فلأن من فِي قلبه أدنى حياة، وطلب للعلم أو نَهمة فِي عبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحقِّ فِيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، أعني: بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة «كيفِية» الرَّبِّ وصفاته.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لأنَّ **المقصود**: معرفة صفاته وأسمائه، والإيمان بذلك، وأنَّهُ ربّ العالمين، وأنَّه الحقُّ المبين، وأنَّهُ العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، وأنَّهُ سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، هذا المقام هو أشرف المقامات، وأعظم المقامات، وهو أساس الملة والدين، أمَّا الكيفِية فمنتفِية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، كيفِية الصفات لا يعلمها إلا هو، فلا يُعلم كيف استوائه، ولا كيف نزوله، ولا كيفَ قدَمه، ولا كيف يده، ولا كيف وجهه، إلا هو سبحانه وتعالى، وهكذا الذات.

المقصود: من هذا كُلِّهِ أنَّ الله جلَّ وعلا بعث محمدًا ﷺ، وأنزل الكتاب ببيان أسمائه وصفاته، وبيان حقِّه على عباده، وبيان ما يجب أن يعتقد فِيه سبحانه وتعالى، وهذا أشرف المطالب، وأعظم المكاسب؛ ولهذا بيَّنته الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبيَّنه خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أعظم من بيان العبادات الأخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدانية، فكيف يتصور، مع قيام هذا المقتضي الَّذي هو من أقوى المقتَضيات، أن يَّتخلف عنه مقتضاه فِي أولئك السادة فِي مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع فِي أبلد الخلق وأشدِّهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم انكبابًا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع فِي أولئك؟!

وأمَّا كونهم كانوا معتقدين فِيه غير الحقِّ أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام فِي هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سَطْرُهُ فِي هذه الفتوى وأضعافها، يعرفُ ذلك من طلبه وتتبعه.

ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفِين، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف؛ بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أنَّ «طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم» ـ وإنْ كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء، قد يُعنى بها معنى صحيحًا[1] ـ.

---

(١) هذه العبارة محل نظر فِي ثبوتها عن شيخ الإسلام، فهي غير موجودة فِي النسخ الخطية والتي يصل عددها إلى تسع نسخ إلا في واحدة، وكذا الطبعات القديمة، ولم يثبتها ابن عبدالهادي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العقود الدرية (ص٦٧-٩٤) ساق فيه جزءً من الحموية ،وكذلك مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه الكواكب الدرية (ص١٠٢-١١٢) قاله د . حمد بن عبدالله التويجزي ينظر/ الفتوى الحموية بتحقيقه (ص٢٠٤).

فإنَّ هؤلاء المبتدعين الَّذين يُفضِّلون طريقة الخلف من المتفلسفة، ومن حذا حذوهم على طريقة السلف، إنَّما أُتُوا من حيث ظنوا أنَّ طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الَّذين، قال الله فِيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البَقَرَة: ٧٨] وإنَّ طريقة الخلف: هي استخراج معاني النُّصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات.

فهذا الظَّنُّ الفاسد أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كَذبوا على طريقة السلف، وضلوا فِي تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فِي الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

والمعنى فِي هذا أنَّ السلف هم أعلم النَّاس بكتاب الله، وسنَّة رسوله ﷺ، وأعلم النَّاس باللغة العربية، فطريقتهم هي الأعلم، وهي الأحكم، وهي الأسلم؛ لأنَّ التأويلات التي سلكها المتأخرون فِيها خطر عظيم، وأمَّا السلف فقبلوا النُّصوص وسلَّموا لها، وآمنوا بما دلَّت عليه ولم يتأولوها؛ لعلمهم وفضلهم وبصيرتهم؛ ولِبُعدهم عن الخطر، واحتياطهم لدينهم، فكانوا أسلم وأعلم وأحكم، وأقرب إلى الصواب بخلاف طريقة الخلف، فهي مملوءة بالأشواك والأخطار، مع قلة العلم، وقلة البصيرة، والجرأة على الله وعلى دينه.

■ سـؤال : قولهم : إنَّ هذه اللفظة قد تحتمل معاني؟

● **الجواب: فِي خلاف لبعض العلماء قد تأوَّل على معنى صحيح؛ لكن ما ظهر لي وجه.**

■ سؤال: كأن الشيخ محمد بن صالح، يقول: راجعنا المخطوط، وتبيَّن أن هذه مدخلة؟

● **الجواب: ما هو بعيد؛ ما ظهر لي وجه.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وسبب ذلك اعتقادهم أنَّه ليس فِي نفس الأمر صفة دلَّت عليها هذه النُّصُوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فِيها إخوانهم من الكافرين، فلمَّا اعتقدوا انتفاء الصفات فِي نفس الأمر وكان مع ذلك لا بدَّ للنُّصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل، والكفر بالسمع.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا غلط، فليست طريقة السلف التفويض، وليست طريقة الخلف بصواب، وكلاهما غلط، فطريقة السلف الإيمان بالمعنى، والتسليم لله عزَّ وجلَّ، وأنَّهُ حقٌّ، وأنَّهُ لائق بالله لا شبيه له سبحانه وتعالى؛ ليسوا مفوضين؛ بل مؤمنين، مؤمنين بالألفاظ والمعاني، معتقدون للمعاني مُسَلِّمِينَ لها على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، والتفويض: معناه أنْ يقول: ما نعرف المعنى، نفوضه إلى الله، هذا غلط، المفوضة فِي بعض ما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال: هم شر من الجهمية؛ لأنهم اعتقدوا أنَّ الله خاطب الناس بشيء لا يفهمونه، وهذا غلط؛ بل خاطب الناس بما يعلمون، ويفهمون على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]

فأخبرهم بالمعنى، وأنَّهُ حقٌّ، وأنَّهُ ليس من جنس ما يفهمون؛ بل هو معنى لائق بالله سبحانه وتعالى.

أمَّا **التأويل**: وهو صرف النصوص عن ظاهرها، هذا باطل قادهم إليه سوء ظنهم بالله، وعدم بصيرتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإنَّ النفي إنَّما اعتمدوا فِيه على أمور عقلية ظنُّوها بينات، وهي شبهات: والسمع حرّفوا فِيه الكلام عن مواضعه، فلمَّا انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين واستبلاههم، واعتقاد أنَّهم كانوا قومًا أُميِّين، بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا فِي حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فِي هذا كلّه.

ثم هذا القول إذا تدبَّره الإنسان وجده فِي غاية الجهالة؛ بل فِي غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرين، لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر فِي باب الدين اضطرابهم، وغَلُظَ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم[1] بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول:

لَعَمْرِي لقدْ طُفْتُ المعاهِدَ كلها وسَيَّرتُ طرفِي بين تلكَ المعالِمِ
فَلَمْ أَرَ إلا واضعًا كفَّ حائرٍ علىٰ ذَقَنٍ أو قارِعًا سِنَّ نادِمِ

وأقرُّوا على أنفسهم بما قالوا: متمثلين به، أو منشئين له، فِيما

(١) هو الشهرستاني، كما ذكره المؤلف فِي كتاب درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٩).

صنَّفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم(١).

نِهايةَ إقدامِ العقولِ عَقالُ وأكثرُ سَعْي العَالَمِينَ ضَلالُ
وأرواحُنا فِي وحَشةٍ مِنْ جُسومِنا وغايةُ دنيانا أذىً وَوَبَالُ
ولمْ نستفدْ مِنْ بَحثِنا طُولَ عُمرنا سِوى أنْ جَمعنا فِيه قِيل وقَالوا

لقد تأملتُ الطرقَ الكَلاميَّة والمناهجَ الفلسفِيةَ، فما رأيتُها تَشفِي عَليلا، ولا تَروي غَليلًا، ورأيتُ أقربَ الطرقَ طريقةَ القرآنِ، اقرأُ فِي الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] واقرأ فِي النفِي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] مَن جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتي عَرَفَ مِثلَ مَعْرِفَتِي.

ويقول الآخر منهم(٢): لقد خضت البحر الخِضَمَّ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت فِي الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي.

ويقول: الآخر منهم(٣) أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلامِ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: من هذا أنَّ هؤلاء الَّذين ابتُلوا بالكلام، وكثَّروا البحث فِي هذه الأمور، ونقلوا عن أصحاب الكلام، وأهل الحيرة ما نقلوا،

(١) هو الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الطبرستاني، كما ذكره المؤلف فِي درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٠).
(٢) هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، كما ذكره المؤلف فِي كتابه المنهاج (٥/ ٢٦٩).
(٣) هو أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد حجة الإسلام، كما صرح بذلك شيخ الإسلام فِي غير هذا الموضع.

فِي الحقيقة أنَّهم ما استفادوا شيئًا، وندم الكثير منهم على ما فعل، وكان آخر كلامهم ماذكره المؤلف، وهذا كُله يبيِّن لنا أنَّ الواجب على أهل العلم التمسك بما كان عليه السلف الصالح من تعظيم كتاب اللَّه، والأخذ به، والأخذ بالسنَّة، والثبات عليها، ونبذ ما خالف ذلك، وعدم الخوض فِي آيات الصفات وأحاديثها بما يقوله أصحاب الكلام، الَّذين كَثُر فِي باب أسماء اللَّه وصفاته اضطرابهم، وغلظ عن معرفة اللَّه حجابهم، بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فلم يستفِيدوا من بحثهم إلا قيل، وقال ومن الخوض الباطل الذي لا منفعة منه، فِيكفِي فِي الإثبات ما جاء من نصوص الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١] ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] ويكفي في النفي نصوص النّفي﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وأشباهها، وهذه كافِية فِي الإثبات والنفِي، فِي إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

فمن قال: إنَّ هؤلاء المتأخرين أعلم وأحكم، فقد غلط غلطاً عظيماً، وقد فقد صوابه، وقد أصيب فِي عقله، وفِي علمه، فإنَّ أهل السنَّة والجماعة الذين سبقوا إلى هذا الأمر هم الذين أعلم باللَّهِ وأحكم فِي أقوالهم وأفعالهم، وهم سلكوا الطريق التي هي السلامة، وهي طريق الحكمة، وهي طريق العلم، وطريق الفقه فِي الدين، وطريق التأدب مع اللَّه، ومع رسوله، فهم أولى باللَّه، وأولى برسوله من هؤلاء المتأخرين.

فمن قال: إنَّ الخلفَ أعلم وأحكم، والسلف أسلم، فقد قال: الباطل، وغلط غلطاً عظيماً لا وجه له؛ بل السلف الصالح هم أعلم، وأحكم، وأسلم، والمتأخرون: هم أَقَلُّ عِلمًا، وأَكْثَرُ تَكَلُّفًا، وأقَلُّ حكمة، وأقَلُّ بصيرة، نسأل الله السلامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقِّق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله، وخالص المعرفة به خير، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء الْمحجُوبون، الْمَفْضُولُون، الْمَسبُوقُون الْحَيَارى الْمَنهُوكُونَ [المتهوكون] أعلم بالله وأسمائه، وأحسن فِي باب ذاته، و آياته من السابقين الأولين.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا يُبيِّن لك أنَّ ما تقدَّم من قول المؤلف: وإن كانت هذه العبارة لو صدرت من عَالم، لأمكن أنْ يكون لها معنًا - صحيحاً - هذا ليس بشيء، وأنَّ هذه والله أعلم مدخلة على المؤلف، وليس لها أصل فِي كلامه؛ لأنَّها عبارة خبيثة فِي حقٍّ من قالها، أنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، هذه لا يقولها عالم، ولا متبصر، ولا عاقل يعقل ما يقول: نعم.

■ سؤال: القواعد الكبرى عند المتأخرين؟

● **الجواب: هذا غلط، غلط قبيح.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

أعلم بالله وأسمائه، وأحسن فِي باب ذاته، وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والَّذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدُّجَى، الَّذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الَّذين وهبهم الله من العلم، والحكمة ما بَرَّزُوا به على سائر أتباع الأنبياء فَضْلًا عن سائرِ الأمم الَّذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمِعَتْ حِكْمةُ غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص فِي العلم والحكمة لاسيما العلم بالله، وأحكام أسمائه وآياته، من هؤلاء الأصاغرِ بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة، وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس، والمشركين، وَضُلَّالِ اليهودِ والنَّصارى والصابئين، وأشكالُهُم وأشباههم أعلمُ بالله من ورثةِ الأنبياء وأهل القُرآن والإيمان؟!

وإنَّما قَدَّمتُ هذه المقدمة؛ لأنَّ من استقرَّت هذه المقدمة عنده عَرَفَ طريقَ الهُدَى أَيْنَ هُوَ فِي هذا الباب وغيره.

وعلم أنَّ الضلال والتَّهوك إنَّما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتابَ الله وراءَ ظَهورهم، وإعراضِهِم عمَّا بعث الله به محمدًا ﷺ من البيِّنات والهدى وترْكِهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسِهِم علم معرفة الله ممّن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدًا معينًا، وإنَّما أصفُ نوع هؤلاء.

وإذا كان كذلك: فهذا كتابُ الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إمَّا نَصٌّ، وإمَّا ظاهرٌ فِي أنَّ الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوقَ كُلِّ شيء، وهو عالٍ على كل شيء، وأنَّهُ فوق العرش، وأنَّهُ فوق السماء مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في ستة مواضع[(١)]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] إلى أمثال ذلك ممّا لا يكاد يحصى إلا بكُلْفَةٍ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

كل هذه الطرق معناها أنَّها طرق كلها دالة على علو الله وفوقيته، وأنَّه فوق العرش فوق جميع الخلق، وساق قوله تعالى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وكذلك تعرج إليه الملائكة: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ﴿إِلَيْهِ

(١) قال سماحته: والستة مواضع غير الموضع الذي ذكره؛ فهذه سبعة مواضع ستة غير الموضع الذي بدأ به.

يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠].

فالصعود والعروج إلى العلو، والرفع كذلك، وهكذا ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السَّجدَة: ٤] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢] إلى غير هذا كلها طرق من الطرق الدَّالة على علوه سبحانه، وفوقيته جلَّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إلى أمثال ذلك ممّا لا يكاد يحصى إلا بِكُلفَةٍ، وفِي الأحاديث الصِّحَاحِ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فائدة: قال سماحته: الصِحاح بالكسر جمع صحيح، يقال: صحيح وصَحاح هذا فِي الجوهري كتاب الجوهري يقال: فِيه الصحاح والصحاح لغتان أما هذا فِيما يظهر بالكسر صحيح صحاح مثل عظيم وعظام وكريم وكرام، فعيل يعني بمعنى فعال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحسان ما لا يحصى إلا بكلفة، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه(١)، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه(٢) وقوله فِي

---

(١) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل فِي قصة الإسراء أخرجه البخاري فِي كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات فِي الإسراء برقم (٣٤٦)، ومسلم فِي كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٣).

(٢) وقد ورد ذلك فِي حديث أبي هريرة رضي الله عنه فِي الملائكة الذين يتتبعُّون مجالس الذكر، وفيه: «فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرِجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ» أخرجه مسلم فِي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر برقم (٢٦٨٩).

الملائكة الذين يتعاقبون فِيكم باللَّيل والنهار، فَيعرج الذين باتوا فِيكم إلى ربهم، فَيسألهم وهو أعلم بهم[(١)].

وفِي الصحيح فِي حديث الخوارج: **«أَلَّا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»**[(٢)].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] عند أهل العلم يفسر بوجهين:

أحدهما: أن (فِي) بمعنى على، فيكون معنى فِي السماء، يعني: على السماء، فيشمل علوه فِي السماوات، والعرش، وأنه فوق العرش.

والتفسير الثاني: أن تكون (السماء) بمعنى العلو، و(فِي) على بابها الظرفِية، وأنَّ معنى فِي السماء، يعني: العلو، والمراد: بالعلو هنا ما فوق العرش.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفِي حديث الرُّقية الذي رواه أبو داود وغيره **«رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتمامه يقول لهم الباريء جلَّ وعلا: «كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فيقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، أخرجه البخاري فِي كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٥)، ومسلم فِي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم (٦٣٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري في كتاب المغازي والسير، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم(٤٣٥١)، ومسلم فِي كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم برقم(١٠٦٤).

الطَّيِّبينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فِيبْرَأُ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْكُمْ، أَوِ اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»[(١)] وذكره.

وقوله فِي حديث الأوعال: «وَالعَرشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[(٢)]

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه والترمذي وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح فِي أحدهما: لا يقدح فِي الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة فِي كتاب (التوحيد) الذي اشترط فِيه أنه لا يحتج فِيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى النبي ﷺ[(٣)].

---

(١) أخرجه فِي كتاب الطب، باب كيف الرقى عن أبي الدرداء رضي الله عنه برقم(٣٨٩٢) وصححه الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الجنائز برقم(١٢٧٢) وتعقبه الذهبي (١/ ٣٤٤) وأخرجه الحاكم كذلك عن فضالة بن عبيد فِي كتاب الطب برقم ٧٥١٢ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي(٤/ ٢١٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فِي مسند العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فِي حديث طويل ذكر لهم، وفِي آخره: «وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ [يَعْنِي: الْعَرْش] وَلَيْسَ، يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ» (١/ ١٠٦) والحاكم فِي المستدرك فِي كتاب التفسير، ومن سورة البقرة برقم (٣١٣٧) (٢/ ٢٨٨) وفِي تفسير سورة طه برقم (٣٤٢٨) (٢/ ٢٧٨) وهو عند أبو داود، والترمذي، وابن ماجه بمثله إلا فِي قدر المسافة التي بين كل سماء وسماء أخرجه أبو داود فِي كتاب السنة، باب فِي الجهمية برقم (٤٧٢٣)، والترمذي فِي بواب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب تفسير سورة الحاقة برقم (٣٣٢٠) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه فِي المقدمة باب فِيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٣) والحاكم فِي المستدرك فِي كتاب التفسير من تفسير سورة الحاقة برقم ٣٨٤٩ (٢/ ٥٠١).

(٣) ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣٥) برقم (١٤٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله فِي الحديث الصحيح للجارية: «أَيْنَ اللَّهُ، قَالَتْ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا رواه مسلم في صحيحه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله فِي الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا متفق عليه فِي الصحيحين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله فِي حديث قبض الروح: «حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فيهَا الله تَعَالَى»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم فِي حديث طويل عن معاوية بن قرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام فِي الصلاة برقم (٥٣٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري فِي كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] برقم (٧٤٢٢)، ومسلم فِي كتاب التوبة باب فِي سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

(٣) رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي حديث طويل فِي قبض الروح أخرجه أحمد فِي المسند (٢/ ٣٦٤)، وابن ماجه فِي كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦٢).

وقول عبد الله بن رواحة ﵁ الذي أنشده للنبي ﷺ وأقره عليه:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللّهِ حقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مثوى الكافرينا
وأَنَّ العَرْشَ فَوقَ الماءِ طافٍ ... وفَوقَ العَرشِ رَبُّ العَالَمَيْنِا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي: الَّذي أُنْشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره، فاستحسنه، وقال: «آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ»(١).

حيث قال:

مجِّدوا الله فَهُو للمَجْدِ أَهلٌ ... رَبُّنَا فِي السماءِ أَمْسَى كَبيرًا
بالبناءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاس ... وسَوَّى فَوقَ السماءِ سَرِيْرا
شرجعًا ما يناله بَصَرُ العين ... تُرى دونَهُ الملائك صُورًا

وقوله فِي الحديث الَّذِي فِي المسند: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»(٢)، وقوله فِي الحديث: «يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَب»(٣) إلى أمثال ذلك ممَّا لا يحصيه إلا الله ممَّا هو من أبلغ المتواترات اللَّفظية والمعنوية التي تورث عِلْمًا يقينيًا، ومن أبلغ العلوم الضرورية أنَّ الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين، أنَّ الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء،

---

(١) الخبر باللفظ المذكور عن ابن عباس ﵄ أورده ابن عبد البر فِي التمهيد (٤/ ٧) وذكره القرطبي فِي التفسير (١٥/ ٦٣) والحافظ ابن حجر فِي الفتح (٧/ ١٥٣، ١٥٤) والفاكهي فِي أخبار مكة برقم (١٩٠١) (٥/ ١٨٦) وغيرهم.

(٢) لم أجده فِي المسند وقد رواه من حديث سلمان ﵁ أبو داود فِي كتاب الصلاة باب الدعاء برقم (١٤٨٨)، والترمذي فِي أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب إنّ الله حيي كريم برقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه فِي كتاب الدعاء باب رفع اليدين فِي الدعاء برقم (٣٨٦٥).

(٣) هذا جزء من حديث طويل عن أبي هريرة ﵁ أخرجه مسلم فِي كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها برقم (١٠١٥).

كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم فِي الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: من هذا كله واضح فِي أنَّ الأدلة المتواترة، والمستفِيضة من السنَّة، ومن الصحابة، وعن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم ما يؤيد ما فِي القرآن من علوّ الله وفوقيته مع أن النص القرآني كافِي، ونص السنة كافِي، ثم إجماع سلف الأمة، فقد اجتمعت فِي هذا الأصول كلها القرآن والسنة والإجماع كلّها مجتمعة على إثبات علو الله فوق جميع خلقه، وأنَّهُ فوق العرش، وأنَّهُ فوق جميع الخلق وعلمه فِي كل مكان سبحانه وتعالى، ثم يأتي هؤلاء الضَّالون الزنادقة من جهمية ومعتزلة، فِينكرون هذا الأمر العظيم المتواتر المستفِيض هذا من أمحل المحال، وأضلَّ الضلال، نسأل الله العافِية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم عن السلف فِي ذلك من الأقوال ما لو جُمِعَ لبلغ مِئين أو ألوفًا، ثم ليس فِي كتاب الله ولا فِي سنةِ رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن أئمة الدِّين الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف، حرف واحد يخالف ذلك لا نصًا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قَطُّ أنَّ الله ليس فِي السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته فِي كل مكان، ولا إنَّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: أنَّ هذه الأقوال من كلام أهل البدع والكلام المنكر، أمَّا السلف الصالح، فقد طهَّرهم الله من هذا، فقولهم واحد، وهو أنَّ الله فوق العرش، فوق جميع خلقه سبحانه وتعالى قد استوى على عرشه، استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو فوق فِي السماء فِي العلو، فوق جميع الخلق، وفوق عرشه بذاته بالنص، قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه فِي شيء من صفاتهم جلَّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ولا إنّه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا من كلام الجهمية الباطل، وهو يقتضي العدم، هذا الكلام يقتضي العدم نعوذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ولا إنَّه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها؛ بل قد ثبت فِي الصحيح عن جابر بن عبد الله أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خطب خطبته العظيمة يوم عرفات فِي أعظم مَجْمعٍ حضرهُ الرسول ﷺ جعل يقول: «أَلَّا هَلْ بَلَّغْتُ»؟ فيقولون: نَعَم. فيرفع إصبعه إلى السماء، ثم ينكبها إليهم، ويقول: «اللَّهُمَ اشْهَد»[1] غير مرة وأمثال ذلك كثير.

---

(١) هذا جزء من حديث جابر الطويل فِي صفة حجة النبي ﷺ رواه مسلم بطوله فِي كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

فإن كان الحقَّ فِيما يقول: هؤلاء السَّالِبُون النافون للصفات الثابتة فِي الكتاب والسنَّة من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنَّة، إمَّا نصًا وإمَّا ظاهرًا، فكيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة أنَّهم يتكلمون دائمًا بما هو إمَّا نص، وإمَّا ظاهر فِي خلاف الحقِّ؟ ثم الحقُّ الَّذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصًا ولا ظاهرًا؛ حتى يجيء أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والنَّصارى والفلاسفة يبيّنون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها، لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون، المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا فِي معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة نصًا أو ظاهرًا، لقد كان ترك النَّاس بلا كتاب ولا سنَّة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير؛ بل كان وجود الكتاب والسنَّة ضررًا محضًا فِي أصل الدين.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: على هذا الرأي الفاسد؛ ولهذا يُعَلمُ من هذه الأُسسِ بطلانَ ما عليه أهلُ البِدعِ من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من نُفاةِ الصفاتِ وهم مُلحدونَ فِي ذلك والله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فإنَّ حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنَّكم يا معشر العِباد لن تطلبوا معرفة الله عزَّ وجلَّ، وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا لا من الكتاب ولا من السنَّة، ولا من طريق سلف الأمة؛ ولكن انظروا أنتم فما وجدتموهُ مستحقًا له من الصفات فِي عقولكم فصفوهُ به، سواء كان

موجودًا فِي الكتابِ والسنَّة، أو لم يكن، وما لم تجدوهُ مستحقًا له فِي عقولكم فلا تصفوه به.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وبهذا يتبيَّن للمؤمن العاقل هادي البصيرة أنَّ ما جاء به من الكتاب والسنَّة، ودرج عليه سلف الأمة، هو الحقُّ الذي لا ريب فِيه وهو الهدى الذي ليس بعده إلا الضلال، فِي إثبات أسماء الله وصفاته، وأنَّهُ فوق العرش جلَّ وعلا، وأنَّهُ له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وأنَّ ما قاله هؤلاء الضالون من الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة وأشباههم ممّن حَرَّفوا وبدَّلوا وغيَّروا، أنَّ هؤلاء هم المبطلون هم الضالون، هم المنحرفون، هم المتهوكون، نسأل الله السلامة.

■ سؤال: أحسن اللَّه إليك ما الفرق بين قول المؤلف: ((إمَّا نصًا وإمَّا ظاهرًا))؟

● **الجواب: النص الَّذي ما يحتمل، والظاهر الَّذي قد يؤوّل.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم هم هاهنا فريقان: أكثرهم يقول: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.

ومنهم من يقول: بل توقفوا فِيه، وكأن الله تعالى قال لهم: ما نفاه قياس عقولكم الَّذي أنتم فِيه مختلفون ومضطربون اختلافًا أكثر من جميع من على وجه الأرض فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنَّهُ الحقُّ الذي تَعَبَدْتُّكُم به، وما كان مذكورًا فِي الكتاب والسنَّة ممَّا يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم، فاعلموا أني أمْتحنَكُم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه؛ لكن لتجتهدوا فِي

تخريجه على شَوَّاذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله، مع نفِي دلالته على كل شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيدَ عنه، ومضمونهُ أنَّ كتاب الله لا يُهتدى به فِي معرفة الله، وأنَّ الرسول معزول عن التعليم، والإخبار بصفات من أرسله، وأنَّ النَّاس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فِيه إلى الله والرسول؛ بل إلى مثل ما كانوا عليه فِي الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يُؤْمِنُ بالأنبياءِ كالبراهمة والفلاسفة، وهم المشركون والمجوس، وبعضُ الصابئين.

وإنْ كان هذا الرَّدُ لا يزيدُ الأمر إلا شِدَّةً، ولا يرتفعُ الخلافُ به؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أُمِرُوا أن يكفروا بهم، وما أشبه حالَ هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

فإنَّ هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنْزل اللهُ من الكتابِ وإلى الرسولِ، والدعاءِ إليه بعد وفاته، هو الدعاء إلى سنَّته أعرضوا عن ذلك، وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان عِلمًا وعَملًا بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفِيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

ثم عامَّة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل: إنَّما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين، أو الصابئين، أو بعض ورثتهم الَّذين أُمِرُوا أن يكفُروا بهم مثل فلان، وفلان، أو عمَّن قال كقولهم لتشابهِ قُلوبِهِم، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٣].

ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتابُ هدى للنَّاسِ، ولابيانًا، ولاشفاءً لما فِي الصدور، ولانورًا، ولامردًّا عند التنازع؛ لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون: إنَّهُ الحقُّ الَّذي يجب اعتقاده لم يَدُلَ عليه الكتاب والسنَّة لا نصًا ولا ظاهرًا، إنَّما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وبالاضطرار يعلم كل عاقل أنَّ من دلَّ الخلق على أن الله ليس على العرش، ولا فوق السماوات ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] لقد أبْعد النَّجْعة، وهو إمَّا مُلْغِزٌ، وإِمَّا مُدلِّسٌ، ولم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم فِي أصل دينهم؛ لأنَّ مَرَدَّهم قبْلَ الرسالة وبعدها واحد، إنَّما الرسالة زادتهم عمى وضلالةً.

يا سبحان الله! كيف لم يقلْ الرسول يومًا من الدهر، ولا أحدٌ من سلف الأمة، هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلَّت عليه؛ ولكن اعتقدوا الَّذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا، وكذا، فإنَّه

الحقُّ، وما خالف ظاهره، فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيه، فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه، ومالا فتوقفوا فِيه أو انفوه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هذه الكلمات التي قالها المؤلف واضحة فِي إبطال ما آل إليه أصحاب الكلام من الخوض فِي أسماء الله وصفاته وعظيم حقِّه جلَّ وعلا بالباطل، وأنَّهم جعلوا عقولهم هي المقياس، فما أثبتته عقولهم، واستحسنته عقولهم أثبتوه، وما لا، نفوه، أو توقفوا فِيه، وهذا الذي قالوه هو غاية الباطل وغاية الضلال، والبعد عن الحقِّ، وقد أوضح رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي هذا المقال غاية الإيضاح، وبطلان ما هم عليه، فإنَّهم فِي الحقيقة لم يلتفتوا إلى كتاب اللّه، ولا إلى سنَّة رسوله ﷺ وإنَّما حَكَّمُوا عقولَهم ومقاييسهم، وما نقلوه عمن قبلهم من صناديد الضلال، وزعماء الكفر من سائر الكفرة من صابئة ومجوس وغيرهم من أنواع الضلال، ثم حكَّمُوا هذه العقول والآراء التي لا سند لها، يُعتمدُ عليه، وإنَّما هو استحسان فلان، وفلان، فبأي عقل توزن هذه الأمور؟ بعقل فلان، أو فلان، أوالطائفة الفلانية الماردة المضطربة المختلفة سبحان الله؟ ما أعظم شأنه!! هذا هو الباطل، وهذا هو الضلال البعيد؛ ولهذا أوضح المؤلف فِي هذا الكلام العظيم المتين، المصيب، بطلان ما هم عليه، وأنَّ أصحاب الكلام فِي الحقيقة، لم يحكموا كتاب اللّه ولا سنَّة رسوله ﷺ، وإنَّما حَكَّمُوا أهواءهم وآراءهم من قبلهم من الضُّلالِ، وشابهوا بذلك الجاهلية فيما يفعلون من التحاكم إلى الكهنة وإلى غيرهم من صناديدهم وكبرائهم، ثم لا يزيدهم هذا إلَّا بُعدًا وضلالًا، فقد يقتتلون ويتناحرون، ولايقبلون عقل فلان، ولافلان، وهذه هي النتيجة التي

فعلها هؤلاء، اختلفوا وتناقضوا، واختلفوا فِيما جاء به الكتاب والسنَّة،فهؤلاء مثَّلوا، وهؤلاء عطَّلوا، وهؤلاء توقفوا وفوضوا، فصارت أقوالهم فِي غاية من الانحراف والضلال.

أمَّا أهل السنَّة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، هم الذين اهتدوا إلى الصراط المستقيم، وَوَفِّقُوا للحقِّ، وصاروا يدًا واحدةً وجسدًا واحدًا، وبناءً واحدًا فِي اتِّباع الحقِّ، والتَّمسك به، والرَّدِّ على من خالفه، ولازمُ قول هؤلاء الضالين نسف الكتاب والسنَّة، وأنَّ هذا الكتاب والسنَّة لا محلَّ لهما، وأنَّ مجيئهُما ما زاد هؤلاء إلَّا ضلالًا وفتنةً وشبهةً، وما زادهم خيرًا، فكفى بهذا المقال الَّذي يقتضي إبطال الكتاب والسنَّة كفى به قبحًا، وكفى به ضلالًا وبُعدًا عن الصراط المستقيم الَّذي بعث الله نبيّه الكريم، محمدًا عليه الصلاة والسلام، وهذا كتاب ابن تيمية ـ الحموية ـ من أحسن ما ألّفهُ المؤلف، ومن أوضح ما يرد على هؤلاء المبطلين، ويبين زيفهم وضلالهم، واختلافهم وافتراقهم، وأنَّهم على غاية من البُعد عن الهدى وعلى غاية من الضلالة، وأنَّهم لا سبيل لهم إلى الصواب إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ كما قال ﷻ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] فهو سبحانه أعلم بنفسه وأعلم بغيره، ورسوله أعلم بربه سبحانه وتعالى، فما أخبر به الله عن نفسه،وأخبر به الرسول عن ربه، فهو الحقُّ والصواب، وما خالفه فهو الباطل والضلال، نسأل الله لنا ولكم العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم رسول الله ﷺ قد أخبر، **أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**[١]، فقد عَلِمَ ما سيكون، ثم قال: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا [بَعْدِي] كِتَابُ اللَّه»**[٢].

وروي عنه ﷺ أنه قال فِي صفة الفرقة الناجية: **«هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْم وَأَصْحَابِي»**[٣].

فهلا قال: من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن فِي باب الاعتقادات، فهو ضالٌّ؟ وإنَّما الهُدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يُحْدِثُهُ المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة فِي هذه المقالة، وإن كان قد نبغ أصلها فِي أواخر عصر التابعين.

---

(١) حديث خبر افتراق الأمة قد جاء من طرق متعددة، وعن عدد من الصحابة منهم أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» أخرجه أبو داود فِي كتاب السنة، باب شرح السنة برقم (٤٥٩٦) وهذا لفظه، والترمذي فِي أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فِي افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤٠)، وابن ماجه فِي كتاب الفتن، باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩١)، وصححه الحاكم فِي المستدرك برقم (٤٤١) ووافقه الذهبي التلخيص مع المستدرك (١/ ١٢٨).

(٢) ورد هذا المعنى فِي حديث جابر الطويل فِي وصف حجة النبي ﷺ وخطبته بعرفة أخرجه مسلم فِي كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨)، وأبو داود فِي كتاب المناسك، باب صفة حج النبي ﷺ برقم (١٩٠٥).

(٣) هذا جزء من حديث الافتراق فِي وصف الفرقة الناجية وجاء هذا التفسير من طريق ابن عمرو أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، فِي الكتاب والباب السابقين برقم (٢٦٤١).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: من هذا أنَّ رسول الله ﷺ بيَّن مثلما بيَّن الله فِي كتابه، وأنَّ الواجب على الأمة اتِّباع الشرع، والتمسك بالشرع؛ ولهذا قال: «**تَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ**» وهذه الواحدة هي التي ثبتت على الحقِّ، والتزمت بالحقِّ فِي فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله؛ ولهذا جاء فِي الرواية الأخرى: «وَهِيَ الْجَمَاعَة» [(١)] فِي رواية الترمذي: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْم وَأَصْحَابِي**» فالفرقة النَّاجية: هم أهل الاستقامة، وهم الَّذين تمسكوا بكتاب الله وسنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام وعظموهما، ووالوا عليهما وعادوا عليهما، فلو كان الحقُّ فِي خلاف ذلك لبيَّن، وقال: إنَّما الحقُّ بما ترونه بعقولكم، أو ما يراه أشياخكم بعقولهم، أو ما أشبه ذلك فَدَلَّ ذلك على أن ما افتروه من هذا الكذب الَّذي هو تحكيم العقول، وتقديم الآراء هو من أبطل الباطل، وأضِّل الضَّلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم أصل هذه المقالة، مقالة التعطيل للصفات إنَّما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين، فَإِنَّ أَوَّل منْ حُفظ عنه أنَّهُ قال: هذه المقالة فِي الإسلام أعني: أنَّ الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وإن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك، هو الجَعْد ابن دِرْهَمٍ، وأخذها عنه الجهمُ بن صَفْوَانٍ، وأظهرها فنُسبتْ مقالة

---

(١) لفظ رواية أبي داود عن معاوية بن أبي سفيان لحديث افتراق الأمة الكتاب والباب السابقين برقم (٤٥٩٧)، وابن ماجه برقم (٣٩٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أجمعين.

الجهمية إليه، وقد قيل: إنَّ الجَعْدَ أخذ مقالتهُ عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ(١).

وكان الجعد بن درهم هذا، فِيما قيل: من أهل حرَّان، وكان فِيهم خلقٌ كثيرٌ من الصابئة، والفلاسفة بقايا أهلِ دين نمرود والكنعانيين الَّذين صنَّف بعض المتأخرين فِي سحرهم، والنمرود هو: ملك الصابئة الكلدانيين المشركين، كما أنَّ كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وبطليموس ملك اليونان، وقيصر ملك الروم، فهو اسم جنْسٍ لا اسم علم.

فكانت الصابئة، إلَّا قليلًا منهم إذْ ذاك على الشرك، وعلماؤُهُمْ همُ الفلاسفة، وإنْ كان الصابئِيُّ قد لا يكونُ مشرِكًا؛ بل مؤمنًا بالله، وباليوم الآخر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: من هذا أنَّ هؤلاء وأشباههم، وإنْ كان أصلهم الذم، وأنَّهم من عُبَّاد الأوثان، وعُبَّادِ النُّجُوم، وعُبَّاد الأصنام مثل الصابئة

---

(١) وهذا ثابت فِي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت سحر رسول الله ﷺ رجُلٌ من بني رزيق، يقال له: لبيد بن الأعصم... أخرجه البخاري فِي كتاب الطب باب السحر برقم (٥٨٦٣)، ومسلم فِي كتاب السلام باب السحر برقم (٢١٨٩).

الَّذي يرأسهم النمرود بن كنعان المعروف، وهكذا غيرهم من الكفرة من الروم والمجوس والحبشة وغيرهم من أنواع الكفرة، كل هؤلاء إذا دخلوا فِي دين الله وهداهم الله خرجوا عمَّا هم عليه من الباطل، وصاروا مع المؤمنين ودخلوا فِي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٦٢] هم مذمومون وكفرة وملعونون، ويجب قتالهم وجهادهم؛لكن من دخل منهم فِي الإسلام، وخرج عن دين أسلافه وآبائه خرج عن ذلك الذَّنب وذلك الكفر، وصار مع إخوانه المؤمنين ممّن عفا الله عنه سبحانه وتعالى، فإنَّ الأحكام تدور مع عللها وأوصافها، فمن تَخَلَّق بالباطل، واتصف بالباطل، فهو مع أهل الباطل، ومن خرج عن ذلك، وتاب إلى الله، واستقام على دين الله، صار مع أهل الإيمان والهدى، ولم يضره كونه من الصابئين، أو كونه من اليهود، أو كونه من المجوس، أو كونه من كذا لا يضره، فمتى تاب إلى الله، وخرج عمَّا هو عليه من الباطل إلى الحقِّ، صار من عباد الله المقربين، ولم يضره أصله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن كثيرًا منهم أو أكثرهم كانوا كُفَّارًا أو مشركين، كما أنَّ كثيرًا من اليهود والنَّصارى بدَّلوا وحرَّفوا وصارُوا كُفَّارًا أو مشركين، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارًا أو مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب، ويبنون لها الهياكل.

ومذهب النفاة من هؤلاء فِي الرَّبِّ سبحانه: أَنَّهُ ليس له إِلَّا صفاتٌ سلبيةٌ أو إضافِيةٌ أو مُرَكَّبَةٌ منهما، وهم الَّذين بعث إليهم إبراهيمُ الخليل

عليه السلام، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصْر الفارابي دخل حرَّان، وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضًا، فِيما ذكره الإمام أحمد وغيره لما ناظر السُّمَنِيَّة بعضُ فلاسفةِ الهند، وهم الَّذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات.

فهذه أسانيد جهم ترجعُ إلى اليهود والنصارى والصابئين، والمشركين والفلاسفةَ الضالون هم إمَّا من الصابئين، وإمَّا من المشركين.

ثم لمَّا عُرِّبَتِ الكُتب الرُّومية واليونانية فِي حدود المائة الثانية زادَ البلاءُ مع ما ألْقى الشيطانُ فِي قلوب الضُّلال ابتداءً من جنْس ما ألقاه فِي قلوب أشباههم.

ولمَّا كان فِي حدود المائة الثالثة: انتشرتْ هذه المقالةُ التي كان السلف يسمونها مقالةُ الجهميَّة، بسبب بشْر بن غَيَّاثٍ المرِّيسي وطبقتُهُ، وكلامُ الأئمة مثل: مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي وغيرهم كثير فِي ذمهم وتضليلهم.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك فِي كتاب «التأويلات» وذكرها أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي فِي كتابه الذي سماه «تأسيس التَّقديس» ويوجد كثيرٌ منها فِي كلام خلق كثير غير هؤلاء مثل أبي علي الجبَّائي، وعبدالجبار بن أحمد الهمذاني، وأبي الحُسين البصري، وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي وغيرهم، هي بعينها تأويلات بشرِ

المريسي[١] التي ذكرها فِي كتابه، وإن كان قد يوجد فِي كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسن فِي أشياء، فإنَّما بيَّنت أنَّ عين تأويلاتهم، هي عين تأويلات بشر المريسي.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: تناقلوها وتوارثوها، وهكذا من بعدهم، فشبهات المشركين الأولين، وشبهات الجهمية والمعتزلة، تناقلها من بعدهم وتوارثوها وشبهوا بها، والعصمة مثلما تقدم التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والحذر من هذه التأويلات، والشُبهات التي أوردها هؤلاء، وشبهوا بها على النَّاس حتى ضلَّ الكثير من النَّاس، والواجب هو ما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام من وجوب إثبات صفات الله وأسمائه، وإمرارها كما جاءت فِي القرآن العظيم والسنة المطهرة على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ بل على مقتضى قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فجميع صفاته سبحانه لا يشابهه فِيها خلقه؛ بل هو منزه عن مشابهة خلقه، وهي الحقُّ، وثبتت له سبحانه على الوجه الكامل، الَّذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه خلافًا لما تأولته الجهمية وأشباهها.

---

(١) قال سماحة الشيخ: يقال له: مريسي، ومرِّيسي بالتخفِيف والتثقيل نسبة إلى قرية فِي مصر كما يأتي فِي (ص١٠٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير فِي زمن البخاري صنف كتابًا سماه: «نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فِيما افترى على الله فِي التوحيد» حكى فِيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أنَّ المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الَّذين اتصلت إليهم من جهته إلى جهة غيره، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبيَّن له ظهور الحُجَّة لطريقهم، وضعْف حُجَّة من خالفهم.

ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذمِّ المريسية وأكثرهم كفَّروهُم أو ضلَّلوهم، وعَلِم أنَّ هذا القول الساري فِي هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي: تبَيَّن الهُدى لمن يريد الله هدايتهُ، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وما ذلك، إلا أن هؤلاء تكلَّموا بكلام يُخالف نص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذا كفَّرهم أكثرُ الأئمة. وضلَّلوهم وبدَّعوهم، وهم الجهمية نفاة الصفات، ونفاة الأسماء؛ ولهذا كتب فِيهم الأئمة عثمان بن سعيد الدارمي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم ممّن كتب فِي هذا الباب للردِّ على هؤلاء المجرمين، فالمقصود: من هذا النصح لله ولعباده، وبيان ما أخطأوا فِيه وما وقعوا فيه، من الفساد الذي ضللوا به الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والفتوى لا تحتمل البسط فِي هذا الباب، وإنَّما أشير إشارةً إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير وينظرُ.

وكلامُ السَّلف فِي هذا الباب موجودٌ فِي كتبٍ كثيرة لا يمكن أن نذكر ههنا إلَّا قليلًا منه، مثل كتاب «السنن» للالكائي و«الإبانة» لابن بطَّة و«السُنَّة» لأبي ذرِ الهروي و«الأصول» لأبي عمرو الطَّلمنكي، وكلام أبي عُمر بن عبد البر، و«الأسماء والصفات» للبيهقي، وقبل ذلك «السُنَة» للطبراني؛ ولأبي الشيخ الأصبهاني؛ ولأبي عبد الله بن مَنْدة؛ ولأبي أحمد العسّال الأصبهاني، وقبل ذلك «السنة» للخلال و«التوحيد» لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج، و«الرد على الجهمية» لجماعة، مثل البخاري، وشيخه عبدالله بن محمد بن عبد الله الجُعفِي، وقبل ذلك «السنة» لعبدالله بن أحمد، و«السنة» لأبي بكر بن الأثرم، و«السنة» لحنبل وللمروزي؛ ولأبي داود السجستاني؛ ولابن أبي شيبة، و«السنة» لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري، وكتاب «الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم. وكلام أبي العباس عبدالعزيز المكي صاحب «الحَيْدة» فِي الرد على الجهمية، وكلام نعيم بن حماد الخُزاعي، وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن سعيد، ويحيى بن يحيى النيسابوري وأمثالهم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

كل هؤلاء تكلَّموا فِي الرد على الجهمية والمعتزلة، ومن خرج عن الطريق من أصناف أهل البدع، وهم لـمَّا فعلوا هذا ليس قصد الغيبة،

وليس قصد التشفِي، وإنَّما القصد النصح لله ولعباده، وبيان هذه الضلالات حتى يحذرها الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: لعبدالله بن المبارك وأمثاله أشياء كثيرة، وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وأنا أعلم أنَّ المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة؛ ولكن لا يمكن ذكرها فِي الفتوى، فمن نظر فِيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه، فإنَّه يسير، فإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل، مأخوذًا عن تلامذة المشركين والصابئين، واليهود فكيف تطيبُ نفسُ مؤمن؛ بل نفسُ عاقل، أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم، أو الضالين، ويدع سبيل الَّذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يكفِي فِي ردها، أي: الشبه التي شبهوا بها على أهل السنة يكفِي فِي ردها أنَّها مأخوذةٌ عن الصابئة، والمشركين، واليهود، فكيف يرضى عاقل أن يكون على سبيلهم، ويسلك منهجهُم، ويدع سبيل المؤمنين أتباع الرسول ﷺ وأتباع الصحابة رضوانُ الله عليهم فكل عاقل يكفِيه هذا من غير حاجة إلى أن ينظر فِيها، ما دام فِي سبيل الضالين والمغضوب عليهم، فكافٍ فِي ردها وإبطالها وتعطيلها مع أن ردها وإبطالها من أوضح الواضحات عند أهل الحقِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل

ثم القول الشامل فِي جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسهُ، أو بما وصفهُ بهِ رسولهُ، وبما وصفهُ به السَّابقون الأوَّلون لايتجاوزُ القرآنَ والحديثَ.

قال الإمامُ أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يوصف الله إلَّا بما وصف به نفسهُ، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف أنَّهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أنَّ ما وصف الله به من ذلك، فهو حقٌّ ليس فِيه لُغْزٌ ولاأحاجي؛ بل معناه يُعرفُ من حيث يُعرفُ مقصودُ المتكلِّم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق فِي بيان العلم، وأنْصح الخلقِ فِي البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانهُ مع ذلك ليس كمثله شيءٌ، لا فِي نفسه المقدَّسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا فِي أفعاله، فكما نتيقنُ أنَّ الله سبحانهُ له ذاتٌ حقيقةٌ، وله أفعالٌ حقيقة، وكذلك له صفاتٌ حقيقةٌ، وهو ليس كمثله شيءٌ لا فِي ذاتهِ، ولا فِي صفاته، ولا فِي أفعالهِ، وكلَّ ما أوجب نقْصًا أو حُدوثًا، فإن الله منزَّهٌ عنهُ حقيقةٌ، فإنَّه سبحانهُ مستحقٌ للكمال الَّذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لا متناع العدم عليه، واستلزام الحدوث، سابقة العدم، ولا فتقار المُحدَث إلى مُحدِثٍ، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فيعطلوا أسماءه الحُسنى وصفاته العُليا، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، ويُلحدوا فِي أسماء الله وآياته.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أهل السنَّة والجماعة ليسوا مع أهل التعطيل، ولا مع أهل التمثيل؛ بل هم بين هؤلاء، وهؤلاء،فلا مع المعطلة، ولا مع الممثِّلة؛ ولكنهم يثبتون صفات الله وأسمائه، كما جاءت فِي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فكما أنَّهم يثبتون ذاته على وجه لا تشبه الذوات، فهكذا يثبتون صفاته على وجه لا تشبه الصفات، هكذا أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ، ومن أتى بعدهم، فقبلوا النُّصُوص وأثبتوا ما دلَّت عليه، وأنَّهُ حَقٌّ، ونفوا عنه التشبيه والتمثيل، عملًا بقوله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أمَّا أهل التعطيل، وأهل التمثيل فكلهم انحرفوا عن الطريق، وحادوا عن سواء السبيل، فليسوا مع أهل السنة والجماعة فِي إثبات، ولافِي تنزيه؛ بل عطلوا آيات الله، وعطلوا أسماءه وصفاته، وشبهوا الله بخلقه، وحادوا عن سواء السبيل، فصاروا بذلك ملاحدة ضالين عن الحقِّ، فضلوا السبيل، وخالفوا ما جاءت به النُّصوص؛ فلهذا عابهم أهل السُّنَّة، ونَفَّرُوا منهم، وصاحوا بهم من كل مكان، وحذَّروا الناس من سبيلهم الرديء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكلٌّ واحدٍ من فريقي التعطيل والتمثيل، فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل.

أمَّا المعطلون فإنَّهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلَّا ما هو اللائقُ بالمخلوق، ثم شرعوا فِي نفِي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل، والتمثيل، مثلوا أولًا، وعطَّلوا آخرًا، وهذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلْقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والمعنى أنَّهم أتوا من فهمهم الرديء، فإنَّهم ما فهموا من النُّصوص إلا التشبيه لأسماء الله وصفاته بالخلق؛ فلهذا عطَّلوا ونفوا الصفات، فلم يفهموا من اسمه بأنه السميع، البصير، والعليم الحكيم، والقدير، وفهموا من وصفه بالوجه، واليد ونحو ذلك إلَّا مشابهة المخلوقين، فأتوا من هذا السَّبيل، وأتوا من فهمهم الباطل، ثم فرُّوا من هذا التشبيه بزعمهم، ووقعوا فِي تشبيه أقبح، وفِي تمثيل أقبح، حتى شبَّهوا الله بالمعدومات والجمادات، والناقصات، فصار تشبيههم هذا الأخير أشد من التشبيه الذي فروا منه؛ ولهذا صاروا فِي غاية من البطلان، وهكذا سنَّة الله فِي أهل الباطل، ما فروا من شيء إلَّا وقعوا فِي أبطل منه وأشرَّ منه، نسأل الله العافِية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

فإنَّهُ إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إمَّا أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويًا، وكُلُّ ذلك من المحال ونحو ذلك من الكلام.

فإنَّه لم يفهم من كون الله على العرش إلَّا ما يثبت لأي جسم كان، على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، أمَّا استواء يليقُ بجلال الله تعالى، ويختصُّ به، فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجبُ نفيها، كما يلزمُ من سائر الأجسامِ، وصار هذا مثل قول الممثل: إذا كان للعَالم صانع، فإمَّا أن يكون جوهرًا، أو عرضًا، وكلاهما محال؛ إذ لايعقل موجود إلَّا هذان، وقوله: إذا كان مستويًا على العرش، فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك إذْ لا يُعلم الاستواء إلَّا هكذا، فَإنَّ كِلَيْهِما مَثَّلَ وكِلَيْهِمَا عَطَّلَ حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كلِّ اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني: بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

والقولُ الفاصلُ: هو ما عليه الأمةُ الوسط، من أنَّ الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويختص به، فكما أنَّهُ موصوف بأنَّه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنَّه سميع، بصير، ونحو ذلك، ولايجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لِعِلْمِ المخلوقين وقُدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولايُثبت لفوقيَّته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا هو الواجب؛ ولهذا درج أهل السنَّة على ذلك، فأثبتوا لله العلو والاستواء فوق العرش على الوجه اللائق به، من دون أن يشابه خلقه فِي استوائهم على سطوحهم أو على فلكهم، أو نحو ذلك، فهكذا وصفه بأنَّه سميع، وبأنَّه بصير، وبأنَّه عليم، وبأنَّه قدير، لايلزم منه مشابهة المخلوقين، فإنَّ عِلْمَ المرء من المخلوقين يعتريه الجهل، يعتريه النسيان، وهكذا قدرتهم يعتريها الضَّعف والعجز، وهكذا سمعهم وأبصارهم يعتري سمعهم الصمم، ويعتري أبصارهم العمى والضعف، أمَّا سمع الله وبصره، فهو كامل لا يعتريه شيء سبحانه وتعالى، وهكذا قدرته وعلمه ملازم لذاته، فهو عالم بكل شيء دائمًا، ولا يعتري هذا العلم نسيان ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مَريَم: ٦٤] ولا يعتريه جهل سبحانه، فهو العالم بكل شيء، وهكذا قدرته كاملة لا يعتريها شيء من النقص بخلاف المخلوقين، فإنَّهم محل نقصٍ أولًا وآخرًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

واعلم أنَّه ليس فِي العقل الصريح، ولا فِي شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السَّلَفِيَّة أصلًا؛ لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشُّبهات الواردة على الحقِّ، فمن كان فِي قلبه شبهة، وأحبَّ حلَّها فذلك سهلٌ يسيرٌ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهنا من السَّهل اليسير فِي هذه الشبهة، يعني: إذا تدبر القرآن، وأراد الحقّ فإنَّها شبهٌ كُلُّها تزول، يكفِيه قو له تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] تقضي على شبهه كلها، وكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

فمن تدبر القرآن، ونظر فِيه بعين البصيرة، وطلب الحقَّ، هداهُ الله طريق الحقِّ، وإنَّما أُوتي أولئك بإعراضهم عن القرآن والسُّنَّة، وبتحكيمهم عقولهم وتقليدهم؛ لأهل الضلالة، فهلكوا كما هلك من قلدوهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم المخالفون للكتاب والسنَّة وسلف الأمة من المتأولين؛ لهذا الباب فِي أمر مريج.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

في أمر مريج: يعني: فِي أمر مختلف مضطرب، لَمَّا خالفوا الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة اضطربوا واختلفوا وتنوعت آرائهم، وهكذا أهل الباطل، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] يعني: مختلط مضطرب عمِي عليهم فِيه الحقَّ،بسبب إعراضهم عن الأدلة الشرعية فوقعوا فِي الاختلاف والاضطراب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإنَّ منْ يُنكر الرؤية يزعُمُ أنَّ العقل يُحيلُها وأنَّه مُضطرٌ فيها إلى التأويل، ومن يحيل أنَّ لِلَّهِ عِلمًا وقُدرةً، وأنْ يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلكَ يقولُ: إنَّ العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل؛ بل من

يُنْكِر حقيقة حشْر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي فِي الجنَّة: يزعُمُ أنَّ العقل أحالَ ذلك، وأنَّه مضطر إلى التأويل، ومن يزعمُ أنَّ الله ليس فوق العرش، يزعم أنَّ العقل أحال ذلك، وأنَّه مضطر إلى التأويل.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يعني: اضطربت عقولهم، واضطربت أفهامهم لَمَّا اعرضوا عن الحقِّ، فكل طائفة تزعم أنَّ العقلَ أحالَ الحقَّ الَّذي أنكرته، فصاروا بهذا ضالين مضلين مجرمين؛ لأنهم عدلوا عن الحقِّ، وعن الصِّراط المستقيم إلى آرائهم وإلى عقولهم، وعلى أي عقل يُوزن الكتاب والسنة؟ وبأي عقل؟ فإنَّ العقول مضطربة ومختلفة فِيها السَّقيم وفيها الصَّحيح، وفِيها المختلط، ليست مِيزانًا، وإنَّما الميزان ما قاله الله ورسوله، هذا هو الميزان، فمن حاد عن هذا الميزان اضطرب ووقع فِي الفساد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويكفِيك دليلاً على فساد قول هؤلاء: أنَّه ليس لواحدٍ منهم قاعدةً مستمرةً فيما يحيله العقلُ؛ بل منهم من يزعم أنَّ العقلَ جوز وأوجب ما يدَّعي الآخر أنَّ العقل أحالَه، يا ليت شعري بأي عقلٍ يُوزن الكتاب والسُّنَّة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قَالَ: «أَوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرَيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ؟»(١).

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨٢)، والذهبي في العلو (ص١٠٣)، وفي سير اعلام النبلاء (٨/ ٨٨)، ومختصر العلو (ص١٠٣).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

والمعنى: أنَّ جدلهم لا ينتهي، فهذا يجادل بكذا، وهذا يجادل بكذا، وهذا يجادل بكذا ممَّا يملي عليهم الشيطان، فليس لأحد أن يميل إلى هؤلاء فيدع ما جاء به الرسول ﷺ ممَّا تلقاه عن الله، بواسطة جبرائيل عليه الصلاة والسلام؛ بل يجب التمسك بما جاء عن الله ورسوله، وما استقرت عليه الأسانيد الصحيحة، وما دلَّ عليه كتاب الله، ولا يلفت إلى جدال من جادل أو إلى تأويل من أوَّل، وإلى خصومة من خاصم؛ بل يرد عليهم بالكتاب والسنة، في تزييف أقوالهم وينهى عن سماع أقوالهم، ويبين باطلهم حتى يحذرها الناس، والله المستعان.

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: حكمي فِي أهل الكلام الذين يروجون الكلام، ويحكمون العقول، قال: «حكمي فِيهم أن يضربوا بالجريد والنّعال، وأن يطاف بهم العشائر والقبائل، وأن يقال: هذا جزاء من خرج عن الكتاب والسنة، وحكم العقل» أو قال: «وأخذ بالكلام»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه:

أحدها: بيان أنَّ العقلَ لايُحيل ذلك.

والثاني: أنَّ النُّصوص الواردة لاتحتمل التأويل.

والثالث: أنَّ عامة هذه الأمور قد عُلمَ أن الرسول ﷺ جاء بها

---

(١) ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٩/١١٦)

بالاضطرار، كما أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة، والباطنية فِي الحج، والصلاة، والصوم، وسائر ما جاءت به النّبوات.

الرابع: أنْ يُبيَّن أنَّ العقل الصريح يوافق ما جاءت به النّصوص، وإن كان فِي النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن إدراك التفصيل، وإنَّما يعلمه مجملًا، إلى غير ذلك من الوجوه على أن وجوه الأساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأنَّ العقل لا سبيل له إلى اليقين فِي عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا، فالواجب تلقي علم ذلك من النّبوات على ما هو عليه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: من هذا كله، أنَّ جميع المنحرفِين عن الكتاب والسنَّة وقعوا فِي الأمر المريج، فالذين أنكروا الصفات، واختلفوا واضطربوا على أي شيء تحال هذه الصفات؟ وعلى أي عقل؟ وماذا يثبت؟ وماذا ينفِي؟ وهكذا الذين أنكروا المعاد، والجنَّة، والنَّار، اضطربوا من الفلاسفة وغيرهم، فاختلفوا فهذا يُكذب هذا، وهذا يُزيِّفُ هذا، وهذا يثبتُ ما نفاه هذا، وهذا ينفِي ما أثْبتهُ هذا، فصاروا فِي أمر مريج، أمَّا أهل الحقِّ الَّذين تلقوا دينهم عن كتاب الله، وعن سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فهم الَّذين وفقهم الله للثَّبات والاستقامة حتى صاروا على كلمة واحدة، وعلى طريق واحد، تلقوه عن نبيّهم ﷺ وعن كتاب ربِّهم، وهم أهل السعادة فِي الدنيا والآخرة.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣] فالواجب الاعتصام بهذا الحبل، وهو دين الله، وهو ما جاء به الكتاب والسنَّة، فالخروج عن هذا ضلال وشقاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن المعلوم للمؤمنين أنَّ الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالهُدى ودين الحقَّ، ليظهرهُ على الدين كُلِّه، وكفى باللَّه شهيدًا، وأنه بيَّن للنَّاس ما أخبرهم به من أمور الإيمان باللَّه واليوم الآخر.

والإيمانُ باللَّه، واليوم الآخر يتضمنُ الإيمانَ بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا لا شك فِيه أنَّ اللَّه بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، والهدى: هو العلم النافع، والأخبار الصادقة، ودينُ الحق: هو الأعمال الصالحة والشرائع المستقيمة، فبعثه اللَّه بالعلم والعمل، بعثه بالإخبار عمَّا مضى من الأمور العظيمة، وبعثه اللّه بأعمال شرعية، وشرائع عادلة تسير عليها العباد، كما بعثه بالإيمان بالمبدأ والمعاد، الإيمان بالله واليوم الآخر، فالإيمان بالله: الإيمان بالمبدأ، أنَّ اللَّه هو ربُّ الجميع وإله الجميع، وهو المعبود بالحق سبحانه وتعالى، وما شرع له من العبادات، واليوم الآخر، وإيمان بالمعاد بالآخرة، وما يكون فِيها من أهوال فِي يوم القيامة، وما ينتهي بعد ذلك إليه من أمر الجنة والنار، فجمع بين هذا وهذا، بين المبدأ والمعاد الإيمان باللَّه وما شرع لهم من الدين، وما أخبر به عن مآل الماضين، واليوم الآخر، وما يكون فِيه من الأمور العظيمة، التي تنتهي بعد ذلك بدخول أهل الجنَّة الجنّة، وأهل النار، النار.

هذا كله جاء به عليه الصلاة والسلام، فعلى أتباعه الإيمان بهذا وهذا، الإيمان بالمبدأ، والأخبار الصادقة التي أخبر بها وهو الهدى، والإيمان باليوم الآخر، وما بعده من الأهوال، وما يكون هناك إلى انتهاء أمر العالم بدخول الجنة أو النار، وبهذا ينتهي أمر العالم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٨] وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمَان: ٢٨].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: في السهولة عليه جلَّ وعلا، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢] كل شيء سهل عليه يسير عليه جلَّ وعلا: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ هذا المبدأ، ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ هذه النهاية، الله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الرُّوم: ٢٧] وقد بَيَّن الله على لسان رسوله ﷺ من أَمْرِ الإيمان بالله، واليوم الآخر ما هدى الله به عبادهُ، وكشف به مُرادهُ، ومعلومٌ للمؤمنين أنَّ رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا؛ بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة، وأفصحهم، فقد اجتمع في حقه ﷺ كمال العلم، والقدرة، والإرادة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هذا معلوم عند جميع أهل العلم والإيمان أنَّ الرسول أعلم النَّاس بهذا، وأنصح النَّاس، أمَّا كونه أعلم الناس، فلأنه يتلقاه عن الربِّ عزَّ وجلَّ بواسطة الملك الصادق، والناس لا يعلمون ذلك وليس عندهم خبر إلَّا بما وجدوه فِي الصحف التي فِيها الصدق والكذب، أمَّا هذا فهو يتلقاه بمن أخبر عنه أصدق الخلق عن الرَّبِّ عزَّ وَجلَّ، وأمَّا كونه أنصح النَّاس؛ فلأن الله جعله رحمةً للعالمين، وجبله على خير الأخلاق، وعلى خير الصفات، وجبله على الصِّدق، وأمره به، كان أصدق النَّاس، وأنصح الناس عليه الصلاة والسلام، كذلك جعله الله أفصح النَّاس عبارةً وبيانًا، فهو قادرٌ على بيان ما بعثه الله به، بينه بأوضح عبارة، وأبين عبارةٍ حتى لا تخفى على المستمع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ومعلومٌ أنَّ المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته: كَمُلَ كلامه وفعله، وإنَّما يدخل النَّقْصُ: إمَّا من نقص علمه، وإمَّا من عجْزه عن بيان علمه، وإمَّا لعدم إرادته البيان.

والرسولُ ﷺ هو الغاية فِي كمال العلم، والغاية فِي كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية فِي قدرته على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة: يجب وجود المرادُ، فعلم قطْعًا أنَّ ما بيَّنه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا كله رد على المتكلمين والفلاسفة وغيرهم ممن ساءت ظنونهم وزعموا أنه لم يبلغ، وإنَّما خيل للناس، فهو ﷺ أكمل الناس علمًا وأكملهم بيانًا وأكملهم نصحًا، فمتى توافرت هذه الأمور لا يتأخر البيان؛ ولهذا بلَّغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام، وجعله الله رحمة للعالمين، وهذا كلُّه ممَّا بيَّنه للناس، وهداهم إليه وأرشدهم إليه بما أعطاه الله من علم وقدرة وبيان، فمنْ زعم خلاف ذلك، فقد ساءت ظنونه بالله، وساءت ظنونه بالرسول عليه الصلاة والسلام، فيكون من أكفر النَّاس وأضلهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فكل من ظنَّ أنَّ غير الرسول ﷺ أعلم بهذا منه، أو أكمل بيانًا منه، أو أحرص على هدي الخلق منهُ، فهو من الملحدين لا من المؤمنين، والصحابةُ والتَّابعونَ لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم فِي هذا الباب على سبيل الاستقامة.

وأمَّا المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التَّخييل، وأهلُ التأويل، وأهل التجهيل.

فأهلُ التخييل: هُم المتفلسفة، ومن سلك سبيلهم من متكلم، ومتصوف، ومتفقه، فإنَّهم يقولون: إنَّ ما ذكر الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، إنَّما هو تخييلٌ للحقائق لينتفع به الجمهورُ، لا أنَّهُ بَيَّنَ به الحقّ، ولا هدى به الخلق، ولا أوْضح به الحقائقَ.

ثم هم على قسمين:

منهم من يقولُ: إنَّ الرسولَ لمْ يعلمْ الحقائق على ما هي عليه.

ويقولون: إنَّ من المتفلسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الَّذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزْعمون أنَّ من الفلاسفة، والأولياء من هو أعلم بالله، واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالةُ غُلاة الملحدين من الفلاسفة، والباطنية: باطنية الشيعة، وباطنيَّة الصوفِية.

منهم من يقولُ: بل الرسول عَلِمَها؛ لكنْ لم يُبيِّنها وإنّما تكلَّم بما يناقضُها، وأراد من الخلق فَهْمَ ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق فِي هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحقَّ.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطلٌ، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويُخبرهم بأنَّ أهل الجنَّة يأكلون ويشربون مع أنَّ ذلك باطلٌ، قالوا: لأنَّه لايمكن دعوةُ الخلق إلَّا بهذه الطريق التي تتضمنُ الكذب لمصلحة العباد، فهذا قول هؤلاء فِي نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهؤلاء هم أكفر الناس وأضلهم وأبعدهم عن الهدى، حيث نسبوا الرسل إلى التجهيل، وإلى التخييل، وأنَّهم أتوا بغير الحقيقة، وأنَّهم زعموا للنَّاس أشياء لا حقيقة لها، وهذا من أكبر الكفر وأضلِّ الضلالِ، نسأل الله العافِية، وهذا قول الفلاسفة الملحدين الذين لايعرفون ربًا، ولا إلهًا، ولا دينًا، وهكذا من تبعهم من الملاحدة من

الرَّافضة، والصوفِية وغيرهم، نسأل الله العافِية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمَّا الأعمال: فمنهم من يقرُّها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنَّما يؤْمرُ بها بعضُ النَّاس دون بعض، ويؤمر بها العامَّة دون الخاصة، فهذه طريقةُ الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم.

وأمَّا أهل التأويل فيقولونَ: إنَّ النصوص الواردة فِي الصفات لم يقصد بها الرسولُ ﷺ أَنْ يعتقد الناسُ الباطلَ؛ ولكن قصدَ بها معاني، ولم يُبيِّن لهم تلك المعاني، ولا دَلَّهم عليها؛ ولكنْ أراد أن ينظروا فيعرفوا الحقّ بعقولهم، ثم يجتهدوا فِي صرف تلك النَّصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهُم، وتكليفَهُم وإتعاب أذهانهم، وعقولهم فِي أنْ يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحقّ من غير جهته، وهذا قول المتكلمة، والجهمية، والمعتزلة، ومن دخل معهم فِي شيء من ذلك.

والذين قصْدنا الردّ فِي هذه الفُتيا عليهم هُم هؤلاء، إذ كان نُفورُ الناس عن الأَوَّلين مشهورًا، بخلاف هؤلاء، فإنَّهم تظاهروا بنصر السُّنَّة فِي مواضع كثيرة، وهم فِي الحقيقة لا للإسلام نصرُوا، ولا للفلاسفة كسرُوا؛ لكن أولئك الملاحدة ألزموهم فِي نصوص المعاد نظير ما ادعوه فِي نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أنَّ الرُّسل جاءتْ بمعاد الأبدان وقدْ علمنا فساد الشُّبَه المانعة منه.

وأهلُ السُّنَّة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أنَّ الرُّسُلَ جاءتْ بإثبات الصفات، ونصوص الصفات فِي الكُتب الإلهية أكثر، وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم: معلومٌ أنَّ مشركي العرب وغيرهم كانوا

ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات، فإنَّه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب.

فعلم أنَّ إقرار العقول بالصفات أعظمُ من إقرارها بالمعادِ، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات فكيف يجوزُ مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفاتِ ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به؟!

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا كُلَّه واضحٌ فِي الردِّ على الجهمية والمعتزلة، فإنَّ نصوص الصفات أوضح شيء وأظهر، قد جاء بها الكتاب العزيز الَّذي هو أصدق كلام، وجاءت به السُّنَّة الصحيحة، فَعُلم بذلك أنَّ صفات الرَّبِّ وأسماءه أمرٌ ثابتٌ وحقٌ، حتى الجاهلية فِي جاهليتها لم تنكر ذلك، فإثبات الصفات والأسماء أعظم وأكبر فِي الأدلة من إثبات المعاد والجنَّة والنَّار وغير ذلك، فإذا ساغ لهؤلاء المجرمين أن يتأولوها فتحوا الباب للملاحدة فِي تأويل آيات المعاد، وما يتعلق بنصوص المعاد فِي الكتاب والسنة؛ ولهذا أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على الردِّ على هؤلاء، وهؤلاء، وأن شبهات الفلاسفة باطلة.

وهكذا شبهات أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم، من أبطل الباطل، وأضلِّ الضلال، والنُّصوص واضحة بينة ثابتةٌ فِي بيان ما أخبر الله به مِن معاد الأبدان، وما يكون نهاية أهل الجنَّة، وأهل النَّار، وما أعد الله لهؤلاء، وهؤلاء، كل ذلك من أوضح النُّصوص، ومن أبين النُّصوص، وهي أمور قطعية قطع بها المؤمنون والمسلمون، وكذلك الصفات سواء بسواء؛ بل هي من باب أولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأيضًا فقد عُلم أنَّه ﷺ قد ذمَّ أهل الكتاب على ما حرَّفوه وبدَّلوه، ومعلوم أنَّ التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا ممّا بُدّل وحُرف لكان إنكار ذلك عليهمْ أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجُّبًا منهم وتصديقًا لَهَا[1]؟ ولم يَعِبْهُمْ قطُّ بما تعيب النفاةُ؛ لأهل الإثبات على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك؛ بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ١٨١] وقولهم: إنه استراح لما خلق السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [قٓ: ٣٨].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا كله يدل على قلة أدب اليهود، وعدم إيمانهم وقلة بصائرهم، وعدم الحياء؛ ولهذا قالوا المقالات الشنيعة: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ١٨١] استراح لما فرغ من السماوات والأرض، وجعلوا يوم السبت هو يوم الاستراحة، وكل هذا من أكاذيبهم وأباطيلهم الشنيعة، التي قالوها عن غير حياء، وعن غير أدب، وعن غير مبالاة لفظاعة كفرهم، وضلالهم، نسأل الله السلامة.

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] برقم (٧٤١٤)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٨٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة فِي القرآن والحديث، وليس فِيها تصريح بالمعاد، كما فِي القرآن، فإذا جاز أن تتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الَّذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني ممّا يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنَّه باطل فالأول أولى بالبطلان.

وأمَّا الصنف الثالث: وهم أهل التجهيل: فهم كثير من المنتسبين إلى السُّنَّة واتِّباع السَّلف، يقولون: إنَّ الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم فِي أحاديث الصفات: أن معناها لايعلمه إلَّا الله، مع أنَّ الرسول تكلم بها ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنَّهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٧] فإنَّه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو وقْفٌ صحيح؛ لكن لمْ يفرِّقُوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الَّذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظَنُّوا أنَّ التأويل المذكور فِي كلام الله تعالى هو التأويل المذكور فِي كلام المتأخرين، وغلطوا فِي ذلك.

فإنَّ لفظ التأويل يراد به ثلاث معان:

فالتأويل: فِي اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرْفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترنُ بذلك.

فلا يكونُ معنى اللفظ الموافق لدلالةِ ظاهرة تأويلًا على اصطلاح هؤلاء، وظنُّوا أنَّ مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأنَّ للنُّصوص تأويلًا يخالف مدلولها لايعلمُه إلَّا الله، ولايعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجرى على ظاهرها، فظاهرها مُرادٌ مع قولهم: إنَّ لها تأويلًا بهذا المعنى لا يعلمه إلَّا الله، وهذا تناقضٌ وقع فِيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السُّنَّة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنى الثاني: أنَّ التأويل هو تفسيرُ الكلام، سواءٌ وافق ظاهرهُ أم لم يوافقه، وهذا هو التأويلُ فِي اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون فِي العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السَّلفِ على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عِمرَان: ٧] كما نُقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد ابن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم، وكلا القولين حقٌّ باعتبار، كما قد بسطناه فِي موضع آخر؛ ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا وكلاهما حقٌّ.

والمعنى الثالث: أنَّ التأويل هو الحقيقة التي يَؤُول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به فِي الجنَّة من الأكل والشرب، واللباس والنكاح، وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها؛ لا ما يتصورُ من معانيها فِي الأذهان، ويعبَّر عنه باللسانِ، وهذا هو التأويل فِي لغة القرآن، كما قال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ﴾ [يُوسُف: ١٠٠].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: هذا ما آلت إليه، هذه حقيقتها برزت،أن سجد له أبواهُ،وسجد له إخوته: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يُوسُف: ٤] جاء تأويلها، يعني: حقيقتها بعدما تولى الأمر، ودخلوا عليه، وسجدوا له، هذا تأويلها.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] تأويله ما يشاهده النَّاس يوم القيامة من الجزاء والحساب ونصب الميزان ونشر الصحف، ثم دخول الجنَّة أو دخول النَّار، وهذا تأويل ما أخبر به الله جلَّ وعلا، والتأويل ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ذكره المؤلف من اصطلاح المتكلمين: وهو صرف اللفظ عن ظاهره الرَّاجح إلى المرجوح لدليل يقترن بذلك، وهذا أحدثه أهل الكلام، وليس هو التأويل الموافق لشرع الله، وفِي كلام رسوله عليه الصلاة والسلام، فهذا أحدثوه هؤلاء، وجروا به الآيات والأحاديث إلى أهوائهم، وإلى مراداتهم.

والقسم الثاني: تفسير الكلام بما دلَّ عليه السياق، ودَّل عليه المعنى ودلَّت عليه الأدلة، سواء وافق ظاهره، أو لم يوافق ظاهره من بعض الوجوه؛ لكنه دلَّت عليه الأدلة، فهذا هو تفسير الكلام مثل ما قال ابن جرير: القول بتأويل قوله تعالى: كذا، وكذا، وهو تفسير الكلام بما يتبيَّن من سياق الكلام، أو من مجموع الأدلة.

والتأويل الثالث: الحقائق التي أخبر الله عنها يعني: ما يؤُولُ إليه الكلام من الحقائق،تأويل الرؤيا ما يقع منها فِي الخارج، وتأويل ما

أخبر الله به يوم القيامة، ما يقع يوم القيامة من الحساب والجزاء، وهكذا الجنَّة، والنَّار وغير ذلك نعم.

- سؤال: عن السجود للبشر (فسجد له أبواه) هل كان مشروعًا أم غير مشروع؟

- **الجواب: كان مشروعًا فِي زمانهم من باب التحية من باب الإكرام، أمَّا فِي شريعة محمد ﷺ نسخ هذا، اللَّهم صلِّ عليه وسلم.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وهذا التأويل هو الذي لايعلمه إلَّا الله.

وتأويلُ الصفات: هو الحقيقةُ التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيْف المجهولُ الذي قال فِيه السَّلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فالاستواء معلومٌ بِعلم معناه، ويفسَّرُ ويترجمُ بلغة أخرى، وهو من التأويل الذي يَعلمه الراسخون فِي العلم، وأمَّا كيفِية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهكذا بقية الصفات، الكيفِية من التأويل الَّذي يعلمه الله وحده، أمَّا تفسير الآيات التي فيها الصفات، فمعلوم للرَّاسخين فِي العلم، ومعلوم لأهل الإيمان بلغة العرب، فالسميع معلوم تأويله، وأنه سماع الأصوات والبصر رؤية الأشياء، والعلم كالخبرة بالأشياء والإحاطة بها

والقدرة ضدَّ العجز، هذه معاني معلومة، وهكذا اليد، والوجه، والقدم كل هذه صفات معلومة؛ لكن لايعلم كيفِيتها إلا هو سبحانه وتعالى فصفات الله وأسماؤه معلومة المعاني؛ لكن لا يعلم كيفِيتها إلَّا هو جلَّ وعلا؛ ولهذا قال مالك، وربيعة، وأم سلمة والسلف بعدهم: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(١).

وهكذا يقال: السمع معلوم، والبصر معلوم، واليد معلومة، والوجه معلوم، والإيمان بذلك واجب، والكيف مجهول، وهكذا بقية الصفات، الضحك، والرضى، والغضب، الغضب: معروف ضد الرضا، والرضا: معروف أنَّه ضد الغضب؛ ولكن لايعلم كيفية رضاه سبحانه وتعالى، ولا كيفية غضبه إلا هو جلَّ وعلا؛ لكن معروف منتهى ما ينتج عن الغضب من العقوبات والنَّقَمات، وما ينتج عن الرضا من الرحمة والإحسان والإكرام، إلى غير ذلك.

الأسئلة

■ سؤال: ما مراد الإمام بقوله: والسؤال عنه بدعة؟

● **الجواب: السلف لم يسألوا عن الكيفِية؛ لأنها لا يعلمها إلَّا الله سبحانه وتعالى، الصحابة سمعوا وأجابوا وآمنوا وصدقوا، ولم يسألوا عن الكيفِية؛ لأنَّ الكيفية أمرها مختص بالله لا يعلمها إلَّا هو سبحانه وتعالى.**

---

(١) سبق تخريجه.

■ سـؤال: حديث الرسول ﷺ الذي يقول فِيه: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»(١).

● **الجواب: صورة تليق بالله جلَّ وعلا، وهي من كل وجه، يعني: أن آدم سميع، بصير، يتكلم، وله وجه، والله سميع، بصير، يتكلم، وله وجه؛ ولكن ليس الوجه كالوجه، وليست الصورة كالصورة، وليس العلم كالعلم، وليس الكلام كالكلام، وهكذا، صورة المخلوق تليق به، وصورة الله تليق به سبحانه وتعالى، مثل ما قاله فِي حديث القيامة: «إِذَا جَاءَهَمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى صُورَتِهِ سَجَدُوا لَهُ»(٢).**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وقد رُوي عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره فِي تفسيرهم عنه أنه قال: «تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ﷻ، فمنْ ادعى علْمهُ فهو كاذبٌ»(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب الاستئذان باب بدء السلام برقم (٦٢٢٧)، ومسلم فِي كتاب الجنة وصفة نعيمه وأهلها باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير برقم (٢٨٤١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه عندهما: «فيأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فيقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا..» أخرجه البخاري فِي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم برقم (٦٥٧٣)، وفِي كتاب التوحيد برقم (٧٤٣٧)، ومسلم فِي كتاب الإيمان باب معرفة طري الرؤية برقم (١٨٢٩).

(٣) وأورده ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: ١١] (١/ ٧٥)، وابن زمنين فِي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٧] (١/ ٢٧٦)، والطبراني فِي مسند الشاميين برقم (١٣٨٥) (٢/ ٣٠٢).

وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٧] وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»(١).

وكذلك عِلْمُ وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لايعلمه إلَّا الله تعالى، وإن كُنَّا نفهمُ معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إيَّاه، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمَّد: ٢٤] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] فأمر بتدبر القرآن كُلّه لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: «حدثنا الَّذين كانوا يُقرءوننا القرآن عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلمُوها وما فيها من العلم والعملِ، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعًا»(٢).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهكذا ينبغي، فلولا أنّه يفهم، وله معنى يفهم، لما قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعًا، فمعانيها التي خوطبنا بها، وأمرنا بتدبُّرها، والعمل

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب التفسير باب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] برقم (٤٧٧٦)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١٠)، وصححه الحاكم فِي المستدرك برقم (٢٠٤٧)، ووافقه الذهبي(١/ ٥٥٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (٧٥٣)(١/ ٢٠٠)،وأبو عبدالرحمن السلمي هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفِي توفِي ٧٤، وقيل: ٧٣هـ، الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ١٧٢).

بها معلومةٌ، كما نعرف معنى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩] ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وما أشبه ذلك، فأشياء مثل ما قال ابن عباس تعرف من لغة العرب، وأشياء يعرفها الرَّاسخون فِي العلم، وأشياء لا يعذر أحد بجهالتها، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وغير ذلك، والنوع الرابع: هو الذي لا يعلمه إلَّا الله سبحانه وتعالى كعلم الغيب، وكيفية الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مجاهد: «عَرضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَّ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا»[(١)].

وقال الشعبي: «مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إلا وَفِي كِتَابِ اللهِ بَيَانُهَا»[(٢)].

وقال مسروق: مَا سُئِلَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي القُرْآنِ؛ وَلَكِنْ عِلْمُنَا قَصُرَ عَنْهُ[(٣)].

وهذا باب واسع قد بسط فِي موضعه.

والمقصودُ هنا: التنبيهُ على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة فِي باب العلم والإيمان بما جاء به الرسولُ ﷺ وأنَّ من جعل

(١) أخرج هذا الأثرَ ابن جرير الطبري فِي تفسير قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣] (٢/ ٣٩٥)، والطبراني فِي المعجم الكبير برقم (١١٠٩٧) (١١/ ٧٧).

(٢) لم أعثر على من أخرج هذا الأثر غير شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذكره فِي الفتاوى (١/ ٤٠٧)، و(٢/ ٣٥٠)، وهنا في (٥/ ٣٨) كما ذكره فِي درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٠٥)، وابن القيِّم في الصواعق المرسلة (٢/ ٩٢٥).

(٣) هذا الأثر رواه الخطيب البغدادي فِي الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦، ٥٧) والمؤلف فِي درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٠٨، و ٥/ ٥٧).

الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه، ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات، ولم يجعلْ القرآن هدىً ولا بيانًا للناس.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: **المقصود**: من هذا بيان أصول المقالات الفاسدة التي قالها المتكلمون والزنادقة، والفلاسفة مثل ما تقدَّم فِي قول أهل التخييل، والتجهييل، والتأويل، وغيرهم ممن تكلم فِي أصول الدين بغير علم، غرض المؤلف أن يبيِّن فساد مقالاتهم، وأنَّ الذي عليه أهل الحقِّ هو الحقُّ والصواب من الإيمان بأنَّ رسول الله ﷺ بلَّغ عن الله رسالاته، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأنه أعلم النَّاس بما جاء عن ربِّه جلَّ وعلا، وهو أخبر عن ربِّه بما هو يعلم معناه، وبلَّغه الأمة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالواجب على الأمة التصديق بذلك، والإيمان بذلك، والانقياد لذلك، وطرح هذه المقالات الفاسدة التي قالها الزنادقة، والمتكلمون الضالون، وأهل التصوف فيما أخطاؤا فيه، وفيما ضلوا فيه عن سواء السبيل، وأن لا يلتفت إلى مقالاتهم الضالة، فالله جلَّ وعلا قال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤] فما قاله عن الله، وثبت عنه فهو الحقُّ، وإنْ جهله هؤلاء الضالون، ولم يعرفوه، وكذلك مَا أخبر به من أسمائه وصفاته الحق اللائقة بالله سبحانه وتعالى، وهي كمال تليق به جلَّ وعلا، لا يشابه فِيها خلقه سبحانه وتعالى.

وهكذا ما أخبر به عن الجنَّة والنَّار، من نعيم أهل الجنَّة، وعذاب أهل النَّار، وما فِي الجنَّة من أنواع الخيرات، وما فِي النَّار من أنواع العذاب

كُلُّه حقٌّ، أخبر به النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، وأخبر به القرآن فوجب الأخذ بذلك، والتصديق به، واطِّراح المقالات الضالة المخالفة لذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم هؤلاء ينكرون العقليات فِي هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول وأمته فِي باب معرفة الله عزَّ وجلَّ لا علومًا عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة فِي هذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فِيما نسبوا إلى الرسول ﷺ وإلى السلف من الجهل، كما أخطأ فِي ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة، وسائر أصناف الملاحدة، ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم، إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع، ما يُعلمُ به مذهبهم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: أنَّ أهل السنة والجماعة هم أولى النَّاس بالسمعيات، وهم أولى النَّاس بالعقليات الصحيحة، وأولئك المنحرفون هم أبعد النَّاس عن السمع الصحيح، وعن العقل الصحيح، فقد باؤوا بالخيبة والخسارة لا فِي السماع، ولا فِي العقل، أمَّا أهل السنة والجماعة، فقد وفقوا لقبول الحقِّ الَّذي جاء به السمع، وقد وفقوا أيضًا لِمَا دلَّ عليه العقل الصحيح والفطرة السليمة الموافقة لشرع الله عزَّ وجلَّ، فأولئك الضالون لا أصابوا العقل، ولا أصابوا السمع، وأمَّا هؤلاء المؤمنون السالكون مسلك النبي ﷺ فقد وفقوا لما حصل لهم من الإيمان بالله ورسوله، وما صح عن الله وعن رسوله، وقد أصابوا الفطرة السليمة والعقل الصحيح، فإنَّ القاعدة الشرعية: أنَّ العقول الصحيحة والفطرة السليمة

لا تخالف النقول الصحيحة؛ بل هما متطابقان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

روى أبو بكر البيهقي فِي (الأسماء والصفات) بإسناد صحيح عن الأوزاعي قَالَ: «كُنَّا والتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ، نقول: إنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ [فِيه] السُّنَّة مِن صِفَاتِهِ»(١).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

أبو عمرو الأوزاعي(٢) أحد الأئمة الكبار، وهو عالم الشام وإليه المرجع فِي زمانه، كان يقول رحمه الله: «كنا نقول: والتابعون متوافرون» لأنه أدرك جمعًا كبيرًا من التابعين: إنَّ الله جلَّ وعلا فوق العرش، أي: نؤمن بذلك، ونقر بأنه فوق جميع المخلوقات، سبحانه وتعالى: ومع هذا نؤمن بما ثبت بالسنَّة من صفاته سبحانه، كما نؤمن بما جاء به القرآن من صفاته جلَّ وعلا، فما جاء فِي القرآن من علمه وحكمته ورحمته وعُلُّوِّهِ، واستوائه على العرش، كُلُّه حقٌّ، وهكذا ما جاءت به السنَّة من الأحاديث الصحيحة؛ لأن الوحي الثاني، كالوحي الأول: السنَّة: هي الوحي الثاني، والوحي الأول: هو القرآن، وهو الأصل، فما جاء ت به السنَّة الصحيحة فهو مثل ما جاء فِي القرآن يجب الإيمان به، وإثباته، وإقراره، واعتقاده، والدعوة إليه، والذَّبِ عنه.

---

(١) رواه البيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠) والذهبي فِي السير (٧/ ١٢٠، ١٢١) فِي العلو (ص١٠٢) من رواية الحاكم وانظر المختصر (ص١٣٧، ١٣٨)، وفِي تذكرة الحفاظ (١/ ١٨١، ١٨٨٢) وحكم عليه بالصحة، وصححه شيخ الإسلام أيضًا كما فِي النص أعلاه.

(٢) هو عبدالرحمن بن عمرو بن بجمد أبو عمرو الأوزاعي ولد في حياة الصحابة سنة ٨هـ وتوفي سنة ١٥٧هـ ، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٨٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة فِي عصرِ تابعِ التابعين، الَّذين هم مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق، حكى شهرة القول فِي زمن التابعين بالإيمان: بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية، وإنَّما قال الأوزاعي: هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر؛ لكون الله تعالى فوق عرشه، والنّافي لصفاته؛ ليعرف النَّاس أنَّ مذهب السلف خلاف ذلك.

وروى أبو بكر الخلال فِي «كتاب السنَّة» عن الأوزاعي، قال: سُئل مكحول، والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالَا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ»(١).

وروى أيضا عن الوليد بن مسلم، قال: سَأَلْتُ مَالِكَ بْن أَنَسٍ، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت فِي الصفات؟، فقالوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ» وفِي رواية: فقالوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»(٢).

---

(١) أخرجه (ص١٥٩) وابن مندة فِي التوحيد (٣/ ١١٥) كما أخرجه البيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨).

(٢) أخرجه (ص١٥٩) والدار قطني فِي الصفات (ص٧٥)، والبيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨)، وفِي السنن الكبرى فِي كتاب الصلاة باب الترغيب فِي قيام الليل برقم (٤٤٢٩) وابن عبدالبر فِي التمهيد (٧/ ١٥٨) برقم (١٤٩)، وفِي الاستذكار باب ما جاء فِي القراءة، (٢/ ٥١٣).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهؤلاء أئمة الدنيا فِي زمانهم، مالك فِي المدينة، والثوري فِي العراق فِي الكوفة، والأوزاعي فِي الشام، والليث بن سعد فِي مصر، وهم أئمة زمانهم وعلماء زمانهم فِي الثقة والرواية والفقه رحمهم الله، قالوا: «أمرّوها كما جاءت بلا كيف»، يعني: آمنوا بها، كما جاءت عن الله، وعن رسوله ﷺ من غير كيف، لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى؛ لهذا قال مالك لما سئل عن الاستواء، قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[(١)]، وهكذا جاء عن ربيعة شيخه، وأم سلمة أم المؤمنين، وهكذا قال الليث بن سعد المصري، وسفيان الثوري رحمه الله، والأوزاعي، وإسحاق بن راهوية، وبعده أحمد بن حنبل، وسفيان بن عيينة وغيرهم من أئمة الإسلام، كلهم على هذا الطريق، يجب أن تمر آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من دون تأويل ولا إلحاد؛ بل تمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله عزَّ وجلَّ تليق به سبحانه، لا يشابهه فِيها خلقه جلَّ وعلا، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النّحل: ٧٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١].

---

(١) سبق تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقولهم رضي الله عنهم: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ» ردٌّ على المعطِّلة، وقولهم: «بِلا كَيْفٍ» رد على الممثلة، والزهري، ومكحول هما أعلم التابعين فِي زمانهم، والأربعة الباقون أئمة الدنيا فِي عصر تابعي التابعين.

ومن طبقتهم حمَّاد بن زيد، وحمَّاد بن سلمة وأمثالهما.

وروى أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبد الله، قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكر عنده من يدفع أحاديث الصفات، يقول: قال عمر بن عبد العزيز: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تعالى تغييرها، ولا النظر فِي شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن خالفها واتَّبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولَّى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[١].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

مقصود عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الواجب السير على منهج السلف الصالح الذين تابعوا نبيهم ﷺ، واستقاموا على طريقه، وهم الصحابة، فالواجب الأخذ بما قالوا: والسير على منهجهم فِي جميع الشؤون فِي إثبات الصفات وتنزيه الله عن مشابهة خلقه، وفِي اتِّباع الشريعة،

---

(١) أخرج هذا الأثر الآجري فِي الشريعة (ص٤٧، ٣٠٨)، وابن بطة فِي الإبانة (١/ ٣٥٢) واللالكائي فِي شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٥) والخطيب البغدادي فِي الفقيه والمتفقه (١/ ١٧٣).

وتعظيم أمر الله ونهيه، وفِي غير هذا من شؤون الدين؛ لأنهم كانوا على الهدى المستقيم، فمن سار على نهجهم واستقام على طريقهم، فهو المهتدي، ومن حاد عن سبيلهم، واتَّبع غير سبيلهم من أصحاب البدع والأهواء ولَّاه الله ما تولَّى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا، نسأل الله العافِية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى الخلال بإسنادٍ كلهم أئمةٌ ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق»(١).

وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبدالرحمن من غير وجه .

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو الواجب على أهل العلم والإيمان، أنَّ الله جلَّ وعلا بعث نبيه ﷺ بالرسالة والبلاغ، فالواجب على الأمة التصديق والقبول، فما فسَّره لهم رسولهم فسَّروه وما كفَّ عنه كفُّوا عنه، وما جهلوه قالوا: الله أعلم، فلا يجوز لهم التعنت والتكلف فِي شيء ما جاءت به

(١) أخرجه اللالكائي فِي شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٩٨)، والبيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ١٥١)، وصححه الشيخ كما هو فِي النص حيث قال: بإسناد رواته كلهم أئمة ثقات، كما أخرجه الذهبي فِي العلو، وصححه الشيخ الألباني فِي مختصر العلو (ص١٣٢).

السنة ولا بلَّغهم إيَّاه الرسول ﷺ؛ ولهذا قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني التابعي الجليل شيخ مالك رحمه الله: «الاستواء غير مجهول» يعني: معروف معناه: أنه العلو فوق العرش «والكيف غير معقول» ما نعرف كيف استوى، علينا الصمت والكف «ومن الله الرسالة» الله أرسل الرسول «وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق» هذا واجبنا أن نصدق ما جاء به الرسول، وأن ننقاد له ونتبعه، فإذا عرفنا معناه، فالحمد لله، وإن لم نعرف وَكَلْناهُ إلى الله، قلنا: الله أعلم.

وهكذا قول مالك كما يأتي: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب» وهكذا يروى عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها هذا المعنى، مثل ما قال ربيعة ومالك، وهكذا القول فِي جميع الصفات الرحمة والقدرة والعلم والسمع والبصر والضحك والرضا وغير ذلك، كلها معلومة، أمَّا الكيف غير معقول، لانكيِّف صفات ربنا ليس عندنا علمُ ذلك؛ ولكن نؤمن بها ونمرُّها كما جاءت وأنها حقٌّ، وأنها ثابتة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به جلَّ وعلا من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] إلى غير ذلك، هذا هو الواجب عند أهل السنة والجماعة، أمَّا ما سلكه الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع من التأويل والتعطيل، فهو باطل عند أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

منها: ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني، وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى، قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرّحَضَاء، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، ثم أمر به أن يُخرج»[1].

فقول: ربيعة، ومالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب»، موافق لقول الباقين: «أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف»، فإنَّما نفوا علمَ الكيفِية، ولم ينفوا حقيقة الصِّفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه، على ما يليق بالله لما قالوا: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول»، ولما قالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلومًا؛ بل مجهول بمنزلة حروف المعجم.

وأيضًا: فإنَّه لا يحتاج إلى نفي عِلم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنَّما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات، وأيضًا، فإن من ينفِي الصفات الخبرية، أو الصفات مطلقًا لا يحتاج إلى أن يقول: بلا كيف، فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات فِي نفس الأمر

(١) أخرج هذا الأثر اللالكائي فِي شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٩٨)، والبيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠-١٥١)، وابن عبد البر فِي التمهيد (٧/ ١٥١)، والدرامي فِي الرد على الجهمية (ص٣٣).

لما قالوا بلا كيف.

وأيضًا: فقولهم: «أمرُّوها كما جاءت» يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنَّها جاءت ألفاظٌ دالةٌ على معاني، فلو كانت دلالتها منتفِية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلَّت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يُقال حينئذٍ بلا كيف، إذ نفي الكيف عمَّا ليس بثابت لغوٌ من القول.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ

كل هذا واضح المعنى، وأنَّ السَّلف إنَّما أرادوا إثبات المعنى وأنَّه حقٌّ؛ ولهذا قالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، وقالوا: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول»، فعلم بذلك أنهم أرادوا أنها صفات حق، وأنها ثابتة، وأن الواجب إمرارها معنىً ولفظًا من غير تكييف، ولا تمثيل فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] هذا سمع حقيقة وبصر حقيقة؛ لكن لانكيِّفه لانعلم كيفِيته، ولانمثله بصفات المخلوقين، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فهكذا قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فِيسدَّدُ بعد ويقتل برقم (٢٨٢٦)، مسلم فِي كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة برقم (١٨٩٠).

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عِنِ الْعَبْدِ [أَنْ] يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فِيحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(١) إلى غير ذلك ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المَائدة: ١١٩].

المقصود: أنَّها صفات يجب إثباتها كما جاءت عن الله وعن رسوله على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، هذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى الأثرم فِي «السنة» وأبو عبد الله بن بطة فِي «الإبانة» وأبو عمرو الطَّلمنْكِي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب، وقد سئل عما جحدت به الجهمية(٢).

أمَّا بعد: فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية، ومن خلفها فِي صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحصرت العقولُ دون معرفة قدرته، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنَّما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنَّما يقال «كيف» لمن لم يكن مرَّةً ثم كان، فأمَّا الَّذي لا يحول ولا يزول ولم يزلْ وليس له مثل، فإنَّه لا يعلمُ كيف هُو إلا هُو، وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى؟ وكيف يكون لصفته شيء منه حد أو منتهى، يعرفه عارف أو

---

(١) رواه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فِي كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب برقم (٢٧٣٤).

(٢) رواه الذهبي فِي العلو ص(١٠٥-١٠٦) وفِي السير (٧/ ٣١١-٣١٢) وحكم عليه بالصحة.

يحد قدره واصف؟ على أنه الحق المبين لا حق أحق منه، ولا شيء، أبين منه، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراهُ صغراً يجول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به ويحتال من عقله، أعضل بك وأخفى عليك ممّا ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، خالقهم وسيِّد السادة وربهم﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

اعرف رحمك الله غِنَاك عن تكلف صفة ما لم يصف الرَّب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وِصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف، فَمَا تكلفك علم ما لم يصف؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تزجر به عن شيء من معصيته؟

فأمَّا الَّذي جحد ما وصف الربُّ من نفسه تعمقًا وتكلفًا فقد ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: لابدَّ إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمى عن البين بالخفِي، فجحد ما سمى الرَّب من نفسه بصمت الرَّب عمَّا لم يسمِّ منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فقال: لايراه أحدٌ يوم القيامة فجحد «والله»، أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونظرته إياهم: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥] قد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه يُنْضَرون إلى أن قال: وإنَّما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرَف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا.

وقال المسلمون: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تظارون فِي رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل تظارون فِي رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك**»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**لاتمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط، قط وينزوي بعضها إلى بعض**»[(٢)].

وقال لثابت بن قيس: «**لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة**»[(٣)].

وقال فيما بلغنا: «**إنَّ اللَّه تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم، فقال له رجل من العرب: إنَّ ربنا ليضحك؟ قال: (نعم) قال: لا نعدم من رب يضحك خيرًا**»[(٤)] إلى أشباه هذا ممَّا لا نحصيه.

---

(١) متفق عليه من أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري فِي كتاب الرقائق باب الصراط جسر جهنم برقم (٦٥٧٣)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٢٩).

(٢) رواه البخاري فِي كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠] برقم (٤٨٤٩)، ومسلم فِي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

(٣) منفق عليه من أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري فِي كتاب مناقب الأنصار باب قول الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] برقم (٣٧٩٨)، ومسلم فِي كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل الضعفاء برقم (٢٠٥٤).

(٤) نص الحديث كما ورد عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، قال: قلت يا رسول الله أيضحك الرب؟ قال: نعم، قال: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا» رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فِيما أنكرت الجهمية برقم (١٨١)، والطبراني فِي المعجم الكبير (١٩/ ٢٠٧، ٢٠٨)، قال البوصيري فِي مصباح الزجاجة (١/ ٨٥) عن سند الحديث هذا إسناده فِيه مقال وكيع بن حديس ذكره ابن حبان فِي الثقات وذكره الذهبي فِي الميزان وباقي رجاله احتج بهم مسلم.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فو الله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته: إلَّا صِغَرُ نظيرها منهم عندهم إن ذلك الذي ألقي فِي رُوعِهِمْ وخلق على معرفته قلوبهم(١)، فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لاهذا، ولاهذا لانجحد ما وصف ولانتكلف معرفة ما لم يصف.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

كلام ابن الماجشتون هذا كلام عظيم جيد طيب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

اعلم رحمك الله أَنَّ العصمة فِي الدِّين أن تنتهي فِي الدين حيث انتهى بك، ولا تجاوز ما قد حد لك، فإنَّ من قوام الدين معرفة المعروف، وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة، وسكنتْ إليه الأفئدة وذكر أصله فِي الكتاب والسنة، وتوارثت علمه الأمة، فلا تخافنَّ فِي ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيبًا؛ ولاتتكلفنَّ بما وصف لك من ذلك قدرًا.

(١) قال سماحة الشيخ رحمه الله لعلها وخلق على معرفته قلوبهم الرُّوع القلب، والرُّوع الوجل والخوف.

وما أنكرتهُ نفسك، ولم تجد ذكرهُ فِي كتاب ربك ولا فِي حديث عن نبيك، من ذكر صفة ربك، فلاتكلفنَّ علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك معرفة ما لم يصفْ من نفسه مثل إنكار ما وصف منها، فكما أَعْظَمْتَ ما جحدهُ الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون ممّا لم يصف منها.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو الحق رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ابن الماجشون من أئمة العلم والهدى وأتباع التابعين رحمهم الله، وهذا الذي قاله هو الصواب، وهو الحق الذي درج عليه أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان، وهو أن الواجب على العالم إثبات ما أثبته الله ورسوله من صفات الله وأسمائه على الوجه اللائق بالله جلَّ وعلا، والإمساك عمَّا لم يرد فِي الكتاب والسنة، فكما أنه يجب عليك إثبات ما أثبته الله ورسوله، فيجب عليك الكف عمَّا لم ينطق الله به ورسوله، فالدين ليس بالآراء والاستحسانات؛ ولكنه بالنقل فما جاء عن الله ورسوله وجب السمع والطاعة له، والإيمان به وإمراره كما جاء، من أسماء الله وصفاته، وشرائع دينه، وما لم يأت فِي كتاب الله ولا سنة رسوله فالواجب الإمساك عنه، وألَّا تقول فِي حق ربك إلَّا بعلم وبصيرة عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، ولما وقعت الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام فِي هذا الباب بالخوض والآراء والاستحسانات وقعوا فِي الباطل وخرجوا عن الكتاب والسنة وكفَّرهم أهل السنة والجماعة، وبدَّعوهم وضلَّلوهم وأنكروا عليهم

وحاربوهم، بسبب أنهم تكلفوا ما لم ينزل الله به سلطانًا، وقالوا على الله بغير علم وعلى رسوله بغير علم فضلُّوا وأضلوا، فالواجب الاتباع وعدم الخروج عما جاءت به الأدلة الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد والله عزَّ المسلمون، الذين يعرفون المعروف، وبهم يُعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم يُنكرُ، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا فِي كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولاتكلَّف صفة قدره، ولا تسمية غيره من الرب مؤمن، وما ذكر عن النبي ﷺ أنّه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمي وما وصف الرب تعالى من نفسه، والراسخون فِي العلم الواقفون: حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لاينكرون صفة ما سمي منها جحدًا، ولايتكلَّفون وصفه بما لم يسم تعمقًا؛ لأن الحقَّ ترك ما ترك وتسمية ما سمى، قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّساء: ١١٥] وهب الله لنا ولكم حكمًا وألحقنا بالصالحين.

هذا كله كلام ابن الماجشون الإمام فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات، ونفى علم الكيفِية موافقًا لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات، بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا، كما تقوله الجهمية، أنه يلزم أن يكون جسمًا أو عرضًا، فيكون محدثًا.

وفِي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال: لاتُكَفِّرنَّ أحدًا بذنبٍ، ولا تنفِ أحدًا به

من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولاتوالي أحدًا دون أحدٍ، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله ﷻ.

قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر فِي الدِّين خير من الفقه فِي العلم؛ ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير.

قال أبو مطيع الحكم بن عبد الله قلت: أخبرني عن أفضل الفقه؟ قال: تعلُّمُ الرجل الإيمان، والشرائع والسنن والحدود، واختلاف الأئمة، وذكر مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر، والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه.

ثم قال: قُلتُ: فما تقول فِيمن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناسٌ، فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟، قال: لا. قلت: وَلِمَ؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو فريضة واجبة؟. قال: هو كذلك؛ لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفْكِ الدماء واستحلال الحرام.

قال: وذكر الكلام فِي قتل الخوارج والبغاة، إلى أن قال: قال أبو حنيفة: عمن قال: لاأعرف ربِّي فِي السماء أم فِي الأرض؟ فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سماوات.

قلت: فإن قال إنَّه على العرش استوى؛ ولكنه يقول: لاأدري العرش فِي السماء أم فِي الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون فِي السماء؛ لأنه تعالى فِي أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل.

وفِي لفظ: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لاأعرف ربي فِي السماء أم فِي الأرض؟ قال: قد كفر، قال: لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سماوات، قال: فإنه يقول: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾؛ ولكن لا يدري العرش فِي الأرض أو فِي السماء، قال: إذا أنكر أنه فِي السماء، فقد كفر.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا واضح فِي مذهبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنه على طريق أهل السنة والجماعة فِي هذا الباب؛ لأن إنكار كون العرش فِي السماء إنكار لوجود الله فِي السماء، والله يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٧] فمن أنكر أنَّ الله فِي السماء، أو أنَّ الله فوق العرش فقد كفر، كما قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا إجماع أهل السنة والجماعة، وأنَّ الواجب على أهل الإسلام، الإيمان بأن الله فِي السماء فوق العرش وعلمه فِي كل مكان سبحانه وتعالى، لا تخفى عليه خافية.

وكذلك قوله: إن الفقه الأكبر من علوم العقائد؛ لأن الفروع تابعة للعقيدة، فعلم البيع والشراء، والإجازة، والنكاح، والطلاق، هذه من الفروع تابعة للعقيدة، والإيمان، فالفقه الأكبر هو العلوم المتعلقة بتوحيد الله، والإيمان به سبحانه وتعالى، والإيمان بما أخبر به عن نفسه من صفاته وأسمائه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

فالواجب على كل مؤمن أن يعرف هذه الأمور، وأن يعتقدها، كما قاله السلف الصالح وأن يسير عليها مؤمنًا بأن الله فِي السماء فوق العرش، وعلمه فِي كل مكان، وأنه سبحانه ذو الأسماء الحسنى،

والصفات العلى، لاشبيه له، ولاكفء له، ولاندَّ له، ولايُقاس بخلقه، سبحانه وتعالى، وأن الواجب إثبات أسمائه وصفاته على الوجه اللائق به، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ ولهذا أنكر أبو حنيفة على هؤلاء الذين يخرجون على السلطان، ويقول: أنهم يفسدون أكثر ممّا يصلحون، فالواجب عليهم إنكار المنكر، والدعوة إلى الخير لكن بغير السلاح، أمَّا الخروج بالسلاح لقتل المسلمين، ولقتل أولياء الأمور بزعمهم أنهم ينكرون المنكر، فهذا عمل الخوارج، وعمل المعتزلة الذين أفسدوا فِيه أكثر مما يصلحون، وفعلوا خلاف ما أمر به النبي ﷺ أنَّ الرسول ﷺ قال: «**من رأى من الأمير شيئًا فِي معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من الطاعة**»(١) ولما قال الرسول ﷺ: «**إنه يلي عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون**» **قالوا: ألا نقاتلهم؟. قال: «لا أدوا إليهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم**»(٢)، إلا أن تروا كفرا بواحًا، وفِي لفظ آخر: «**ما أقاموا فِيكم الصلاة**»؛ ولكن هؤلاء الذين أيضاً يقاتلون: لايجوز الخروج عليهم إلا على بصيرة، وعلى علم، وعلى قدرة أنهم يزيلون المنكر، أمَّا هؤلاء الجهلة الذين يريدون الخروج بزعمهم ويقتلون الناس ويؤذون الناس،

---

(١) متفق عليه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا، فمات، إلا مات ميتة جاهلية» أخرجه البخاري فِي كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» برقم (٧٠٥٤)، ومسلم فِي كتاب الإمارة، باب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن فِي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة برقم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» برقم (٧٠٥٢)، ومسلم فِي كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٣).

ويقتلون المسلمين على غير بصيرة، هؤلاء ليس لهم الخروج، إنَّما الخروج على من قدر على ذلك، ورأى كفرًا بواحاً على قوم ما أقاموا الصلاة أو أظهروا كفرًا بواحاً غير ذلك، بشرط أن يكون ذلك القيام يحصل به المقصود: ولا يحصل به ما هو أنكر منه، نسأل الله العافية.

■ سـؤال: الذين يقولون: بأن الله تعالى فِي كل مكان أيكفرون بهذا ؟

● **الجواب: نعم.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

ففِي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كَفَّر الواقف الَّذي يقول: لا أعرف ربِّي فِي السماء أم فِي الأرض، فكيف يكون الجاحد النَّافِي الَّذي يقولُ: ليس فِي السماء، أو ليس فِي السماء، ولافِي الأرض؟ واحتج على كفره بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال: وعرشه فوق سبع سماوات.

وبيَّن بهذا أنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ يبيِّنُ أنَّ الله فوق السماوات، فوق العرش، وأنَّ الاستواء على العرش دلَّ على أنَّ الله تعالى بنفسه فوق العرش، ثم إنَّه أردف ذلك بتكفِير من قال: إنَّه على العرش استوى؛ ولكنْ توقف فِي كون العرش فِي السماء أم فِي الأرض؟ قال: لأنه أنكر أنه فِي السماء؛ لأن الله تعالى فِي أعلى علِّيين، وأنَّه يُدعى من أعلى لا من أسفل، وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفِير من أنكر أن يكون الله فِي السماء، واحتج على ذلك بأن الله فِي أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحُجَّتين فطرية عقلية، فإنَّ القلوب مفطورة على الإقرار بأنَّ الله، فِي العلوِّ، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر

صريحاً عنه بذلك، فقال: إذا أنكر أنه فِي السماء فقد كفرَ.

وروى هذا اللفظ بإسناده عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، فِي «كتاب الفاروق» وروى أيضاً ابن أبي حاتم أنَّ هشام بن عبيد الله الرَّازي صاحب محمد بن الحسن، قاضي الري حبس رجلًا فِي التجهم، فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقهُ، فقال: الحمد الله على التوبة، فامتحنه هشام، فقال: أتشهد أنَّ الله على عرشه بائنٌ من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه، فقال: «ردُّوه إلى الحبس، فإنَّه لم يتب»(١).

وروى أيضًا عن يحيى بن معاذ الرَّازي أنَّه قال: إنَّ الله على العرش بائنٌ من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددًا، لا يشكُّ فِي هذه المقالة إلَّا جهميٌّ رديءٌ ضلِّيلْ، وهالك مرتابٌ يمزج الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان.

وروى أيضًا عن ابن المديني لما سُئل: ما قول أهل الجماعة؟. قال: يؤمنون بالرؤية والكلام، وأنَّ الله فوق السماوات على العرش استوى فسئل عن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فقال: اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧].

---

(١) ذكر هذا الأثر شيخ الإسلام فِي درء العقل والنقل (٦/ ٢٦٥) ذكره ابن القيم فِي اجتماع الجيوش ص(١٤٠، ١٤١).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: أنَّه معهم بعلمه واطِّلاعه عليهم، وهو فوق العرش سبحانه وتعالى، لا تخفى عليه جلَّ وعلا؛ ولهذا بدأ الآية بالعلم وختمها بالعلم، سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وروي أيضًا عن أبي عيسى الترمذي، قال: «هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمُه وقدرتُه وسلطانه في كلِّ مكان»(١).

وروي عن أبي زرعَة الرَّازي أنه لما سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: تفسيره كما يقرأ هو على العرش وعلمه في كل مكان، ومن قال: غير هذا فعليه لعنةُ الله(٢).

وروى أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري صاحب أبي حامد الإسفرائيني في كتابه المشهور في «أصول السنة» بإسناده عن محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة، قال: «اتفق الفقهاء كُلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الربِّ عزَّ وجلَّ: من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسَّر اليوم شيئاً منها، فقد خرج ممّا كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنَّهم لم يصفوا، ولم يفسروا؛ ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال: بقول: «جهم» فقد فارق

(١) ذكره في سننه في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن تفسير سورة الحديد بعد رقم (٣٢٩٨) تعليقًا عليه، وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٢٤٣، ٢٤٢).

(٢) ذكره الذهبي في العلو (ص١٣٧) من طريق أبي إسماعيل الهروي وابن القيم في اجتماع الجيوش (ص٢٣٤).

الجماعة؛ لأنهُ قد وصفه بصفة لا شيء».

ومحمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة، ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى على هذا الإجماع، وأخبر أنَّ الجهمية تصفُه بالأمور السَّلْبية غالباً، أو دائماً.

وقوله: «من غير تفسير» أراد به تفسير: الجهمية المعطِّلةِ، الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا الذي قاله محمد بن الحسن هو إجماع أهل السنة والجماعة، وهو إجماع أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وهو إمرار آيات الصفات وأحاديثها، كما جاءت من غير تأويل، بل يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها واعتقاد أنها حق، ولا تفسر بتفسير الجهمية، وهو: التأويل لها وسلبها ونفيها أو تكييفها كل هذا باطل؛ بل تمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات الله لائقة به، وأنها صفات كمال ليس فِيها نقص، وليس فِيها تشبيه لله بخلقه، فيقرؤون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وأشباه ذلك ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

«يَضْحَكُ اللّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجنَّة»(١) **«إِنَّ اللّهَ يَرْضَى عَنِ الْعَبْد»**(٢) إلى غير هذا فيمرونها كما جاءت

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه في كتاب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه برقم (١٨١٦) وقال هذا حديث حسن.

صفة الرحمة، صفة الغضب، صفة الرضا، اليد، الوجه إلى غير هذا، ويعلمون أنَّها حقٌّ، وأنَّها صفات لائقة بالله ثابتة لله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما يقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هكذا أهل السنة والجماعة يُمِرونها مع الإيمان بها وأنَّها حق، أمَّا تأويل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فهذا كُلّه لا يصلح، كُلّه باطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن أبي عُبيد القاسم بن سلام قال: هذه الأحاديث التي يقول فِيها: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبُ غَيْرِهِ»[(١)].

مداخلة سائل: قال: يا شيخ فِي هذه النسخة موجود: «وقرب خيره»؟

قال الشيخ: لا، غِيَرِهِ، معروف الرواية غِيَرِهِ، يعني: تغيير الأمور، ومعنى «خيره» صحيح، صحيح كذلك؛ لكن الرواية غِيَرِهِ، يعني: تغيير الأمور من شدة إلى رخاء، ومن رخاء إلى شدة، ومن صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة. غِيره بالغين.

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث رزين العقيلي رضي الله عنه فِي المسند (٤/ ١١، ١٢) وابن ماجه فِي كتاب السنة، باب فِيما أنكرت الجهمية برقم ١٨١، وأبو داود الطيالسي برقم (١٠٩٢) (١/ ١٤٧) والطبراني فِي المعجم الكبير (١٩/ ٢-٧) برقم (٤٦٩) وقال البوصيري: فِي مصباح الزجاجة فِي زوائد ابن ماجه هذا إسناد فِيه مقال: فِي وكيع بن حدويس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربُّك فِيها قدمُه، والكرسي: موضعُ القدمين، وهذه الأحاديث فِي الرؤية، هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنَّا إذا سُئلنا عن تفسيرها لانُفسِّرها، وما أدركنا أحدًا يفسِّرُها.

أبو عبيد: أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه، واللغة، والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان فِي الزمان الذي ظهرت فِيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحدًا من العلماء يفسرها، أي: تفسير الجهمية.

وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك: أنَّ رجلًا قال له: يا أبا عبدالرحمن إني أكره الصفة ـ يعني صفة الرب ـ فقال له عبد الله بن المبارك: «وأنا أشد الناس كراهية لذلك؛ ولكن إذا نطق الكتابُ بشيء قُلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا».

أراد ابن المبارك: أنَّا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو الحق، فإنَّ الصفات توقيفية أسماء الربِّ وصفاته توقيفِية، ليس لأحد أن يقترح أو يخترع شيئًا لم تأت به النصوص من صفات الله؛ ولكن يسمى بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله عليه الصلاة والسلام، ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ،

وليس للإنسان أن يخترع شيئاً من كيسه؛ بل يقف حيث وقفت النصوص، ويمرها كما جاءت من غير تأويل ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تشبيه لله بخلق؛ بل يمرها كما جاءت مع الإيمان القاطع أنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، مع الإيمان بأنه الكامل فِي كل شيء، ذاته وأسمائه وصفاته جلّ وعلا، وأنه لا أكمل منه سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه، ولانقول: كما تقول الجهمية إنه ههنا فِي الأرض» وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

معنى بائن منفصل، أي: منفصل من خلقه ليس له فِي خلقه شيء منه، وليس فِي ذاته شيء من خلقه؛ بل هو مستقل سبحانه وتعالى فوق عرشه فوق سماواته جلَّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وروى بإسناد صحيح عن سُليمان بن حرب الإمام سمعت حمَّاد بن زيد، وذكر هؤلاء الجهمية، فقال: «إنما يحاولون أن يقولوا: ليس فِي السماء شيء».

وروى ابن أبي حاتم فِي كتاب «الرد على الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الإمام أحمد أنه

ذكر عنده الجهمية فقال: «أشر قولا من اليهود والنصارى، وقد أجمع اليهود والنصارى، وأهل الأديان مع المسلمين على أنَّ الله على العرش، وهم قالوا: ليس على شيء».

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: «من لم يقل: إنَّ الله فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلَّا ضربت عنقه، ثم ألقي على مَزْبلةٍ لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة»، ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

وروى عبدالله بن الإمام أحمد بإسناده عن عَبَّاد بن العوَّام الواسطي إمام أهل واسط، من طبقة شيوخ الشافعي، وأحمد، قال: «كلمت بشرًا المريسي وأصحابُ بشر، فرأيت آخر كلامهم ينتهي، أن يقولوا: ليس فِي السماء شيء»[(١)].

وعن عبدالرحمن بن مهدي الإمام المشهور، أنه قال: «ليس فِي أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس فِي السماء شيءٌ، أرى والله أن لا يُناكحوا ولا يوارثوا»[(٢)].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

كلهم مجمعون على هذا، كل أئمة الإسلام من الصحابة ومن بعدهم مجمعون على ضلال الجهمية وأشباههم ممّن يتكلم فِي الصفات وينفِيها ويعطلها؛ ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على ضلالهم،

---

(١) هذا الأثر ذكره عبد الله بن الإمام أحمد فِي السنة (١/ ١٢٧) والخطيب فِي تاريخ بغداد (٧/ ٥٨) والذهبي فِي العلو(١/ ١٥١).

(٢) ذكر هذا الأثر عنه: عبد الله فِي السنة (١/ ١٥٧) والذهبي فِي العلو (١/ ١٤٣).

وأنَّهم قد قالوا: قولًا إدًّا؛ ولهذا قال جمهورهم: بأنَّهم كفار ضُلال ليس لهم اجتهادٌ؛ بل قولهم باطلٌ، وهم كُفَّار بهذا لإنكارهم أسماء الرَّب وصفاته، نسأل الله العافية.

يقول ابن القيم رحمه الله في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم ... بل حكاه قبله الطبراني

والمقصود: أنَّ أئمة الإسلام وجمهورهم يرون كفرهم وضلالهم، وإن تسموا بالإسلام؛ لأنهم كذبوا النصوص، وأنكروا ما دلَّت عليه النصوص من أسماء الرب وصفاته، نسأل الله العافِية.

■ سؤال: وصف ابن خزيمة بإمام الأئمة؟

● **الجواب: يعني إمام في زمانه، أفضل ما يحمل عليه المعنى، يعني: إمام زمانه؛ لقوته في السنة ورده على أهل البدع رحمة الله عليه مات سنة عشر وثلاثمئة السنة التي مات فيها ابن جرير رحمه الله، وهم أقران.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

روى عبد الرحمن بن أبي حاتم في «كتاب الرد على الجهمية» عن عبدالرحمن بن مهدي، قال: «أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إنَّ الله لم يكلِّم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وإنَّ الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلَّا قتلوا».

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

والمعنى أنَّ الجهمية فِي نفيهم الصفات يحاولون بذلك نفي وجود الله بالكلية، وإنكاره بالكلية، وهذا غاية فِي الإلحاد والضلال والكفر، فإنه إذا قيل: إنه ليس بعليم ولاقدير ولا سميع ولا بصير ولا، ولا، معناه النفي المحض ـ نعوذ بالله ـ، ولهذا حكم عليهم جمهور أهل السنة والجماعة بالكفر والردة، وأن الواجب استتابتهم، فإن تابوا وإلَّا وجب قتلهم لإلحادهم وإنكارهم ما جاءت به الكتب السماوية، وما صحت به السنة؛ ولهذا ضحى خالد بن عبد الله القسري بجعد بن درهم يوم العيد، يوم عيد الأضحى، قال: أَيُّها النَّاس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنَّه زعم أنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم أمر به بعدما نزل أمر بقتله أمام الناس[١] فجزاه الله خيرًا على هذا العمل الطيب؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وعن الأصمعي قال: «قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: كفرت بهذه المقالة»[٣].

(١) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٦٤)، وخلق أفعال العباد له.
(٢) ينظر الفقه الجعد السنة للخلال (٥/ ٨٨) برقم (١٦٩٠).
(٣) أورده الذهبي فِي العلو ص ١١٨.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

خبيثة زوجة خبيث أقول: خبيثة أخذت من زوجها الخبث قبحها الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال: «ناظرتُ جهمياً؛ فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن فِي السماء رباً»(١).

وروى الإمام أحمد بن حنبل: ثنا سريج بن النعمان، قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: «الله فِي السماء وعلمه فِي كل مكان، لا يخلو من علمه مكان»(٢).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا قول أهل السنة والجماعة أن الله فوق العرش فوق جميع الخلق، وعلمه فِي كل مكان، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه واطّلاعه، وهو فوق العرش سبحانه وتعالى، لايخفى عليه خافية جلَّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الشافعي: «خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حق قضاه الله فِي السماء وجمع عليه قلوبَ عبادِهِ». وفِي الصحيح عن أنس بن مالك، قال: كانت زينبُ تفتخرُ على أزواج النبي ﷺ تقولُ: «زَوَجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ

---

(١) المصدر السابق (ص١٢٣).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد فِي السنة (١٠٦، ١٠٧)، وأبو داود فِي المراسيل عن الإمام أحمد (٦٣).

وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»[(١)]، وهذا مثل قول الشافعي.

وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة فِي استتابة بشر المريسي[(٢)] حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره[(٣)].

وقال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين الإمام المشهور من أئمة المالكية فِي كتابه الذي صنفه فِي «أصول السنة» قال فيه: «باب الإيمان بالعرش».

قال: «ومن قول أهل السنة أنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه فِي قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٤] فسبحان من بَعُدَ[(٤)] وقَرُبَ بِعِلْمِهِ، فسمع النجوى، وذكر حديث أبي رزين العقيلي، قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلق السَّمَوَاتِ والأَرْضَ؟، قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحتَهُ هَواءٌ، وما فَوقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري فِي كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] برقم (٧٤٢٠).

(٢) المريسي يشدد ويخفف نسبة إلى قرية من مصر يقال لها مِرِّيس، وبعضهم يخففها مريسة، فمن شدد القرية شدد النسبة، ومن خفف القرية خفف النسبة.

(٣) في بعض النسخ لما أنكر الصفات وأظهر قول جهم.

(٤) بذاته.

(٥) رواه أحمد فِي المسند (٤/ ١٣، ١٢)، والترمذي وحسنه فِي كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ومن تفسير سورة هود برقم (٣١٠٩)، وابن ماجه فِي المقدمة، باب فِيما أنكرت الجهمية برقم (١٨٢)، وابن حبان فِي صحيحه برقم (٦١٤١).

قال محمد[١]: العماء: السحاب الكثيف المطبقُ فِيما ذكره الخليل، وذكر آثارًا أخر.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هذا الحديث «فِي عماء» رواه الإمام أحمد وجماعة، وهو من طريق وكيع بن حُدس، ويقال: ابن عُدس، وليس بذلك المشهور، وذكر بعضهم، كالحافظ: أنه مقبول، فليس بذاك المشهور من جهة السند وصحة السند؛ لكن لو صح فهذه الأمور توقيفِية، فإن لم يصح فالقول فِيه كالقول فِي غيره، الله أعلم سبحانه وتعالى، أخبره أنه فوق العرش، وأنه استوى على العرش بعدما خلق السماوات والأرض، وأمَّا ما قبل ذلك، فإنَّ صح حديث أبي رزين، فالأمر فِيه واضح، وإلا فالجواب فِيه الله أعلم.

وحديث وكيع بن حدس ليس من الأحاديث القوية، التي يحسن الاعتماد عليها فِي الأصول؛ لكن يمكن أن يكون له طرق أخرى، وشواهد أخرى تعضده وتقويه، ينبغي التأمل، ينبغي مراجعة رواية أبي رزين فِي المسند، وفِي أبي داوود الطيالسي وفِي غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: باب «الايمان بالكرسي».

قال محمد بن عبدالله: ومن قول أهل السنة: أنَّ الكرسي: بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين، ثم ذكر حديث أنس الذي فِيه التجلي يوم الجمعة فِي الآخرة، وفِيه: «**فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على**

(١) يعني: محمد بن أبي زمين، فلا يزال النقل عنه نه مستمر.

كرسيه، ثم يحف الكرسي على منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيُّون فيجلسون عليها»[(١)].

وذكر ما ذكره يحيى بن سالم صاحب التفسير المشهور: حدثني العلاء بن هلال عن عمار الدُّهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنَّ الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه».

وذكر حديث أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن زر عن ابن مسعود قال: «ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة، والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»[(٢)].

ثم قال: فِي «باب الإيمان بالحجب».

قال: ومن قول أهل السنة إنَّ الله بائنٌ من خلقه يحتجبُ عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون عُلوًا كبيرًا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً

---

(١) هذا الحديث رواه جمع من الأئمة من طرق متعددة فقد رواه كلٌ من الشافعي فِي الأم (١/ ١٨٥) وفِي مسنده (ص ٧٠، ٧١) وابن أبي شيبة فِي مصنفه (٢/ ١٥٠، ١٥١) وقد ساقه بطوله في كتاب العرش (ص٩٥)، والحديث كما رواه ابن أبي زمنين فِي أصول السنة (١/ ٢٩٩، ٣٠٠) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل بالجمعة وهي كالمرآة البيضاء وذكر الحديث. وقد صححه جمع من الأئمة بكثرة طرقه، وتلقي الأمة له بالقبول فهو لا ينحط عن درجة القبول. نقلاً بتصرف قاله د. حمد التويجري في تحقيقه للرسالة الحموية (ص٣٣١).

(٢) رواه البيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ١٤٥) وابن خزيمة فِي التوحيد (١/ ٢٤٣) (٢/ ٨٨٥) وغيرهما وذكره الهيثمي فِي المجمع(٧/ ٢٧) وقال: رجاله رجال الصحيح، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٤٦).

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] وذكر آثارًا فِي الحجب.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا مثل ما جاء به من حديث أبي موسى فِي الصحيح: «**حِجَابُهُ النُّور لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١) سبحانه وتعالى، ومثل ما جاء به فِي حديث أبي ذر عند مسلم قيل يا رسول الله أرأيت ربك؟ قال: «**رَأَيْتُ نُورًا**» وفِي لفظ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(٢) فالله جلَّ وعلا له من الحجب العظيمة والأنوار العظيمة ما لا يحصيه إلا الله، ولا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى؛ لكن يوم القيامة يكشف الحجاب جلَّ وعلا عن وجهه الكريم فيراه المؤمنون فِي عرصات القيامة وفِي الجنة، وهو أعلى نعيمهم.

معنى بائن، يعني: منفصل من خلقه، يعني فوق العرش، فوق جميع الخلق، سبحانه وتعالى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم قال: «فِي باب الإيمان بالنزول».

قال: ومن قول أهل السنة أن الله ينزلُ إلى السماء الدُّنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فِيه حدًا.

---

(١) رواه مسلم فِي كتاب الإيمان باب قوله ﷺ: إن الله لا ينام وفِي قوله حجابه النور برقم (١٧٩).

(٢) رواه مسلم فِي كتاب الإيمان باب فِي قوله عليه السلام نور أنى أراه وفِي قوله رأيت نورا برقم (١٧٨).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

لا يحدوا حدًا، يعني: على ما جاء فِي النصوص: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول سبحانه وتعالى: من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغيثني؟ فأغيثه حتى ينفجر الفجر**»(١) وفِي اللفظ الآخر: «**هل من سائل فَيعطى سؤله؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من تائب فيتاب عليه**»(٢)، فأهل السنة يمرونه كما جاء من غير تغيير ولاتفسير ولاجد، أمَّا من قال: ينزل ربنا، أي: ينزل ثوابه أو أمره أو ملك من الملائكة، هذا تأويل باطل، وإلحاد فِي الحديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وذكر الحديث من طريق مالك وغيره، إلى أن قال: وأخبرنا وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عباد، قال: «ومن أدركت من المشايخ مالك، وسفيان الثوري، وفُضيل بن عياضٍ، وعيسى بن المبارك، ووكيع كانوا يقولون: النزول حق».

قال ابن وضاح: سألت يوسف بن عدي عن النزول، قال: «نعم أو من به، ولا أحُدُّ فِيه حدًّا»، وسألت عنه ابن معين، فقال: نعمْ. أُقِرُّبِهِ، ولا أحُدُّ فِيه حدًّا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل برقم (١١٤٥)، ومسلم فِي كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب والدعاء والذكر فِي آخر الليل والإجابة فِيه رقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد برقم (٧٥٨).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: ما أقول ينزل كذا، ولا كذا، ما أكيف، ينزل كما يشاء سبحانه وتعالى، ولا يعلم كيف ينزل إلا هو، كما أنه استوى على العرش كما يشاء، لا يعلم كيفية استوائه إلا هو سبحانه وتعالى، وهكذا بقية الصفات، لا يعلم كيف يرضى، ولا كيف يغضب، ولا كيف يجيء يوم القيامة، ولا كيف يضحك، إلا هو سبحانه وتعالى، الكيفية إليه سبحانه وتعالى، هو أعلم بها جل وعلا، إنَّما علينا الإيمان بما أخبرنا به من ضحك، ورضا، وغضب ورحمة، وعلم، وسمع، وبصر، ونزول، واستواء، نؤمن بها كما جاءت، على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى، لايعلم كيف صفاته إلا الله سبحانه وتعالى.

■ سـؤال: أمروها كما جاءت؟

● **الجواب: يعني أمروا بالإيمان بها، ومعنى أمرُّوها يعني: لا أغير فيها شيئاً، ولا أحد حداً، أمروها كما جاءت.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال محمد: وهذا الحديث يبيِّن أن الله ﷻ على العرش فِي السماء دون الأرض، وهو أيضاً بيِّنٌ فِي كتاب الله، وفِي غير حديث عن رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٥] قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: ١٦-١٧] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: ١٨] وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥] وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨].

وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللّه؟**» **قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ**: «**مَنْ أَنَا؟**» **قالت: أَنْتَ رَسُولُ اللّهِ، قال**: «**فَأَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

قال: والأحاديث مثل هذا كثيرة جدًا، فسبحان من علْمُه بما فِي السماء كعلْمهِ بما فِي الأرض لا إله إلا هو العلي العظيم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا وصفه جلَّ وعلا عند جميع أهل السنة والجماعة العلو: وهو صفة ذات، أجمع عليها العلماء ودلَّت عليها الفطرة، فقد فطر العباد على الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى، وأنه فوق الجميع جلَّ وعلا حتى البهائم فطرها على رفع رأسها إلى السماء عندما يحزبها شيء، المقصود: أنَّ الفطرة دلَّت على علوه، وجاءت النُّصوص بذلك، جاء الكتاب العظيم والسنة المطهرة، وجاء الأنبياء جميعاً بالإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى، وأمَّا استواؤه على العرش جاءت به النصوص النقلية السمعية، فالاستواء والعلو كلاهما صفتان عظيمتان ثابتتان لله سبحانه وتعالى، أمَّا العلو فبالفطرة والعقل والنص جميعًا، وأمَّا الاستواء بالنص بالسمع، كما جاءت به النصوص، الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال قبل ذلك فِي الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه «قال: واعلم بأن أهل العلم بالله، وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به تعالى عن نفسه علماً، والعجز عن ما لم يَدْعُ إليه إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيثُ انتهى فِي كتابه على لسان نبيه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو البصيرة، وهذا هو الحق، وهذا هو مقتضى العقل السليم، الجهل بما لم يخبر به علم، والعجز عن إدراك ذلك هو الحقيقة التي يجب أن يقرَّ بها العبد، وأنه عاجز لايعلم عن ربه إلَّا ما جاءت به النصوص، ولا يستطيع أن يقول عن ربه سوى ما جاءت به النصوص، فالجهل بما لم يخبر به عن نفسه هو العلم فِي الحقيقة. يقول العبد: لا أعلم، الله أعلم، لا أدري عن هذا، إنما نعلم ما جاءت به النصوص، وما دلَّت عليه النصوص، فنصف الله بها، وما أخبر به عن نفسه، ونسكت عما سوى ذلك، وهذا هو العلم، وهذا هو مقتضى الإيمان، العجز عن إدراك ما لم يخبر به، هو الإيمان الصحيح، أمَّا التكلف ودعوى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا هو الجهل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال: وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقال ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢] وقال ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩] وقال ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وقال ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥] وقال ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] ومثل هذا فِي القرآن كثير.

الاسئلة

■ سؤال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]؟

● الجواب: هذا واضح، يعني: بمرأى من الله ومسمع منه سبحانه وتعالى، هو الذي يسدده ويسهل أمره، وفِيه إثبات العين؛ لأنه لا يقال: هذا من لا عين له، ولا سمع ولا بصر، السفِينة تجري بعينه، يعني: برعايته سبحانه وتعالى، وفِيه إثبات العين، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]؛ لأنه رُبِّيَ على عينه سبحانه وتعالى، يعني: بتوفِيق الله لمن رباه حتى صار فِي أحسن حالة، ومع ذلك فِيه إثباتُ العين لله عزَّ وجلَّ، وجاءت النصوص فِي قصة الدجال: وإنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَر، وَإِنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى[(١)] ففيه إثبات العين، وإثبات الرعاية من الله للسفِينة، ولموسى عليه الصلاة والسلام.

■ سؤال: إثبات صفة الاستهزاء فِي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] كيف يكون؟

● الجواب: يستهزئ بهم ويمكر بهم، كما فعلوا، مكر بحق، واستهزاء بحق، يوصف به سبحانه وتعالى، المذموم الاستهزاء بالباطل، والمكر بالباطل، أمَّا استهزاؤه بهم، فهو فِي مقابل استهزائهم، لما استهزؤوا استهزأ بهم، ومُكِرَ بهم وكيدُوا

---

(١) قصة ذكر عور الدجال فِي الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري فِي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] ... برقم (٣٤٤٠)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال برقم (١٦٩).

وخُدِعوا، وهو بحق يوصف به، لأنه وصف حق لله سبحانه وتعالى، على الوجه اللائق بالله جلَّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض، كما أخبر عن نفسه وله وجه، ونفس، وغير ذلك ممّا وصف به نفسه، ويسمع، ويرى، ويتكلم هو الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية، ولا شيء بعده، والظاهر: العالي فوق كل شيء، والباطن: بطن علمه بخلقه، فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٩]؛ حَيٌّ قيومٌ ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

وذكر أحاديث الصفات، ثم قال: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه فِي كتابه، ووصفهُ بها نبيه، وليس فِي شيء منها تحديدٍ، ولا تشبيه ولا تقدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١]، لم تره العيون فتحده كيف هو؟ ولكن رأتهُ القلوبُ فِي حقائق الإيمان.

الأسئلة

■ سؤال: صفة الكلام لله ذاتية أو فعليه؟

● **الجواب: أصولها ذاتية، يجوز أن يقال: ذاتي، ويقال: فعلي؛ لأن بالاختيار يسمى ذاتي: لأنه من صفات الذات، ويسمى فعلي، لأنه يقع عن المشيئة، يتكلم بذاته سبحانه وتعالى.**

■ سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧]؟

● **الجواب: يعني: ذاته سبحانه وتعالى، بوجهه الكريم، عَبَّرَ بالوجه لأنه هو: الأشرفُ، والمقصود: أنه يبقى بوجهه الكريم،**

صفة الوجه مع بقائه سبحانه وتعالى، فعبر بالوجه لأنه من الصفات العظيمة؛ ولهذا قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] يعني: بوجهه وذاته جميعاً ليس الوجه وحده، عبر بالوجه عن الذات كلها؛ لأنه موصوف بوجهه سبحانه وتعالى، وهذا من طريقة العرب، ويبقى وجه فلان يعني: كل فلان، ليس هو فقط وجههُ والباقي معدوم، يعني: كله هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكلام الأئمة فِي هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم، مثْل ما ذكره أبو سليمان الخطَّابي فِي رسالته المشهورة فِي «الغنية عن الكلام وأهله» قال: فأمَّا ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها فِي الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفِية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا فِي ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنَّما القصد فِي سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بيْنَ الغالي فِيه والجافِي، والمقصِّر عنه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قد أحسن أبو سليمان رحمة الله عليه كلام عظيم، هذا قول أهل السنة، فقوم أفرطوا فِي التنزيه حتى عطَّلوا كالجهمية، والمعتزلة، وبعض المتأخرين من أتباعهم كالأشاعرة فِي بعض الصفات، وقوم أفرطوا فِي الإثبات فمثلوا وشبهوا، والحق ما قاله أهل السنة، وهو

الوسط، وهو الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل، إثبات بريء من التمثيل، وتنزيه بريء من التعطيل، وذلك إمرارها كما جاءت وإثباتها والإيمان بها أنها حق، وأن الله لا شبيه له فِيها، سبحانه وتعالى.

■ سؤال: الخطابي على مذهب أهل السنة فِي جميع الصفات، أو يقول بعض الأحيان بالتأويلات؟.

● **الجواب: قد يقع لبعض الناس مثله وغيره قد يقع(في تأويل)؛ لكن فِي هذا الكلام، كلام طيب رحمه الله.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والأصل فِي هذا: أنَّ الكلام فِي الصفات فرع عن الكلام فِي الذات ويحتذى فِي ذلك حذوه وأمثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنَّما هو إثباتُ وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنَّما هو إثبات وجود لا إثباتُ تحديد وتكييف.

فإذا قلنا يدٌ وسمعٌ، وبصرٌ، وما أشبهها فإنَّما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوَّة، أو النعمة، ولامعنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنَّها جوارح ولانشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار، التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنَّ القول إنَّما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها؛ لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف فِي أحاديث الصفات، هذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ فِي رسالة له أخبر فِيها أن مذهب السلف على ذلك.

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوًا منه من العلماء من لا يُحصى عددهم مثل أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمار السجزي، وشيخُ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي صاحب «منازل السائرين» «وذم الكلام» وهو أشهر من أن يوصف، وشيخ الإسلام: أبي عثمان الصابوني، وأبي عمر بن عبد البر النَّمري إمام المغرب وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب «الحلية» فِي عقيدة له قال: فِي أولها «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال: فمما اعتقدوه أنَّ الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ فِي العرش واستواء الله، يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف، ولاتمثيل، ولاتشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لايَحلُّ فِيهم ولايمتزجُ بهم وهو مستوٍ على عرشه فِي سمائه دون أرضه وخَلْقه».

وقال الحافظ أبو نعيم فِي كتابه «محجةُ الواثقين ومدرجة الوامقين» من تأليفه: وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، لا مستول عليه، كما تقول: الجهمية إنه بكل مكان خلافاً لما نزل فِي كتابه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وهو قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وكرسيهُ جسْمٌ، والسماواتُ السبعُ والأرضون السبعُ عند الكرسي كحلقة فِي أرض فلاة، وليس

كرسيه علْمُه، كما قالت الجهمية؛ بل يوضع كرسيهُ يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ[1]، وأنه تعالى وتقَّدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وزاد النبي ﷺ: وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين، ويعذِّبُ من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٩] .

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفِية في حدود المئة الرابعة فِي بلاده، قال: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السُّنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، بلا كيف، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين.

قال فيها: وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه عزَّ وجلَّ مستو على عرشه بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلاحلول ولاممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ سميعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، خبيرٌ، يتكلم، ويرضى

(١) عن جابر ﷺ قال لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: أتحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ قال: فقيةٌ منهم، بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهبانهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفِيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل. . . . قال يقول رسول الله ﷺ صدقت، صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم. رواه ابن ماجه كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠١٠).

ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، فيقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر**»، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول، فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

صدق معمر في هذا، هذا قول أهل السنة والجماعة أنه سبحانه استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، وهكذا بقية صفاته، يرضى ويغضب ويتكلم إذا يشاء، ويرحم عباده، ويضحك إليهم، كل هذا واقع؛ لكن على الوجه اللائق به من غير كيف ولا مشابهة للخلق، سبحانه وتعالى، وهكذا النزول، الباب واحد، وهكذا جميع الصفات، كلها بابها واحد لأهل الحق، يجب إثباتها لله، وإمرارها كما جاءت، والإيمان بها، وأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله على الوجه اللائق به سبحانه، كما أن ذاته حق، ولا تشبه ذوات المخلوقين، فهكذا صفاته حق، ولا تشبه صفات المخلوقين، ومن زعم خلاف ذلك فقد ضلَّ وابتدع، وصار كلامه في ذلك يؤول إلى الإلحاد وإنكار وجود الذات بالكلية، نسأل الله العافية، ومن أنكر الصفات معناه فقد عطل الله جلَّ وعلا، وأنكر وجوده، هذا مآل قولهم، نسأل الله العافية.

■ سؤال: هؤلاء صوفية مهتدين؟

● **الجواب: نعم. الله المستعان.**

■ سؤال: لماذا انتسب إليهم وتسمى بهم، وهو بهذا الاعتدال؟

● **الجواب: لعل مراده الأوائل، أهل التصوف الأوائل هم أهل زهد وورع كالجنيد، وأبي سليمان الداراني، وبشر الحافِي وأشباههم، يعني: اشتهروا عند الناس بالزهد والورع والعبادة والتقشف، والرغبة فِي الآخرة، والزهد فِي هذه الدار كان يقال لهم: أهل الورع وأهل الزهد، ثم حدث هذا الاسم الجديد التصوف.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمدُ بن محمدٍ بن هارون الخلال فِي كتاب «السنة» حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثنا إبراهيم بن الحارث، يعني: العبادي حدثنا الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر ـ هو صاحب الفضيل ـ قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: ليس لنا أن نتوهم فِي الله كيف هو؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه وكل هذا: النزول، والضحك، وهذه المباهاة[١]، وهذا الاطِّلاع[٢]، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن

---

(١) ورد فِي المباهاة حديث، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت قال رسول الله ﷺ: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فِيه عبدًا من النار، من يوم عرفة وإنه ليدنوا، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء. أخرجه مسلم فِي كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفه برقم (١٣٤٨).

(٢) كما جاء فِي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصته حاطب بن أبي بلتعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفِيه، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني يا رسول الله، فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر، فقال: «اعملوا ما شئم فقد غفرت لكم». أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المُمتَحنَة: ١] برقم (٤٨٩٠)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر =

يطلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه؟ فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

سبحانه وبحمده، هذا حقٌّ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحَجّ: ١٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود: ١٠٧] سبحانه، ومن ذلك الاستواء، والنزول، والضحك، والرضا، والغضب، وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري فِي «خلق أفعال العباد».

ونقل شيخ الإسلام بإسناده فِي كتابه «الفاروق» فقال: حدثنا يحيى بن عمار، ثنا أبي ثنا يوسف بن يعقوب، قال: ثنا حرمي بن علي البخاري، وهانئ بن النضر عن الفضيل.

وقال عمرو بن عثمان المكي فِي كتابه الذي سماه «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» قال: «باب ما يجيء به الشيطان للتائبين»، وذكر أنه يوقعهم فِي القنوط، ثم فِي الغرور وطول الأمل، ثم فِي التوحيد، فقال: «من أعظم ما يوسوس فِي التوحيد بالتشكك فِي صفات الرب أو بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل»، فقال بعد ذكر حديث الوسوسة: واعلم رحمك الله أن كل ما توهمه قلبك، أو سنح

= وقصة حاطب بن أبي بلتعة برقم (٢٤٩٤)، مايتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان». رواه مسلم فِي كتاب الإيمان باب الوسوسة فِي الإيمان وما يقوله من جحدها برقم (١٣٢).

فِي مجاري فكرك، أو خطر فِي معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو سنح مسائل، أو شخص متمثل: فالله تعالى بغير ذلك؛ بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] أي: لا شبيه، ولا نظير، ولا مساوٍ، ولا مثل، أولم تعلم أنه لما تجلَّى للجبل تدكدك لعظم هيبته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلَّى لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فرُدَّ بما بيَّن الله فِي كتابه من نفيه عن نفسه التشبيه والمثل والنظير والكفء.

فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الربِّ تبارك وتعالى وتقدس فِي كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ، فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا، أو وصفته، أوجب له التشبيه، فأكْذِبْهُ؛ لأنه اللعين إنّما يريدُ أن يستزلَّكَ ويغويك ويدخلك فِي صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى.

واعلم رحمك الله تعالى أن الله تعالى واحدٌ لا كالآحاد، فرد صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد إلى أن قال: خَلصتْ له الأسماء السَّنِيَّة فكانت واقعة فِي قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدثْ تعالى صفة كان منها خلياً، واسماً كان منه بريًا تبارك وتعالى، فكان هادياً سيهدي، وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافرًا سيغفرُ، وفاعلاً سيفعل، ولم يحدثُ له الاستواء إلَّا وقد كان فِي صفة أنه سيكون ذلك الفعلُ، فهو يسمى به فِي جملة فعله، كذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] بمعنى: أنه سيجيء فلمْ يستحدث الاسمُ بالمجيء، وتَخلُّف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء

سيجيءُ، ويكونُ المجيءُ منه موجودًا بصفة لا تلاحقه الكيفِية ولا التشبيه؛ لأن ذلك فعل الربوبية، فَيتحسر العقل، وتنقطع النفس عن إرادة الدخول فِي تحصيل كيفِية المعبود، فلا تذهب فِي أحد الجانبين لا معطلاً، ولا مشبهاً، وارض لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مُسلِّماً، مُستسلماً مصدقاً، بلا مباحثة التنفِير، ولا مناسبة التنقير.

إلى أن قال: فهو تبارك وتعالى القائل: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصَص: ٣٠] لا الشجرة، الجائي: قبل أن يكون جائياً، لا أمره المتجلي لأوليائه فِي المعاد، فتبيضُّ به وجوههم، وتفلجُ به على الجاحدين حُجَّتهم المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كلِّ مكان تبارك وتعالى الذي كلم موسى تكليماً، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله؛ لأنه قربه نجيّاً، تقدَّس أن يكون كلامه مخلوقاً، أو مُحْدثاً أو مرْبوباً، والوارث بخلقه لخلقه السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسامهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته، خلق آدم ونفخ فِيه من روحه ـ وهو أمره ـ تعالى وتقدَّس أن يَحُلَّ بجسم، أو يمازج بجسم أو يلاصق به تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، الشائي: له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا، ليتقرَّب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب فِي قُربه من حبل الوريد، البعيد فِي علوِّه من كل مكان بعيد، ولا يُشَبَّهُ بالناس».

إلى أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] القائل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلك: ١٦-١٧] تعالى وتقدس أن يكون فِي الأرض، كما هو فِي السماء جلَّ عن ذلك علوًا كبيرًا. أهـ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: أنَّ هذا الَّذي قاله رحمه الله هو الحق، فإنَّ النَّاس فِي هذا الباب ثلاثة أقسام:

١- **غلاة**: وهم المشبهة.

٢- **ونفاة ومعطلون**: وهم الجهمية وأشباهم.

٣- **وأهل السنة**: وهم الوسط فِي هذا الباب، فلا مع المعطلين النافِين للصفات، ولا مع المشبهين، والممثلين الَّذين غلوا فِي إثبات الصفات؛ ولكنهم وسط بين الباطلين، وحق بين الباطلين، ووسط بين الطَّرفِين، فأثبتوا صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تعطيل، ومن غير تشبيه، فلا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، أثبتوا صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، ولم يمثلوا صفاته بصفات خلقه، ولم يعطلوا صفاته جلَّ وعلا؛ بل هو المالك لكل شي، والقادر على كل شيء، وهو استوى على عرشه جلَّ وعلا، وهو قادر على ذلك قبل وجود هذا الاستواء، وقبل وجود العرش، وهو على كل شيء قدير، سبحانه وتعالى، كما أنه قادر على المجيء والإتيان، وإن كان لا يفعله إلا يوم القيامة حيث يقضي بين عباده، وهو على كل شيء قدير، وهو الذي يفعل ما يشاء على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

هذا هو الواجب على أهل العلم والإيمان أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وأن ينزهوه عمَّا نزه عنه نفسه، وأن يؤمنوا بأنه جلَّ وعلا له الكمال المطلق، فِي كل شي، فِي ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، لا شبيه له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى.

الأسئلة

■ سـؤال : والشائي؟

● الجواب: أخذها من «شاء» إثباتٌ لوجود المشيئة، ليس من أسمائه من باب إثبات المشيئة، والإرادة.

■ سـؤال : ذكر أن الشيطان يوقعهم فِي القنوط، ثم فِي الغرور وطول الأمل، فهل الغرور بعد القنوط؟

● الجواب: الشيطان قد يعمل هذا، وهذا، قد يزين للعباد القنوط، فَيقنطون، ويعظِّمُ عليهم أمر النَّار، وأمر غضب الله، فَيقنطون بسبب بعض المعاصي التي قد فعلوها، وقد يبتلي بعض النَّاس، ويزين لهم الغرور، وأنَّهم بلغوا منزلة ما بلغها أحد فِي عباداتهم، حتى يغتروا ويظنوا أنَّهم فاقوا النَّاس، وأنَّهم فوق النَّاس، وأنَّهم تعبدوا أكثر ممَّا تعبده الأنبياء، فَيقعوا فِي الغرور، _ نعوذ بالله _ ، والتكبر والمنَّ على الله بما فعلوا، فَيهلكون: نسأل الله العافِية.

■ سـؤال : قال: الناظر بعينه إلى أجسامهم، هل يكون الناظر بعينيه إلى أجسامهم؟.

● الجواب: هذا صحيح، وهذا صحيح يقال: عين، المفرد المضاف يعم، مثل ما قال: يد يصف يده أي: يديه، ويقال: بعينيه؛ لأنه له عينين سبحانه وتعالى، كما أن له يدين، وله قدمين، سبحانه وتعالى، هذا معناه.

■ سؤال: يوجد كتاب في مكاتبنا اسمه «حق العبيد على الله» أو «حق العباد على الله» لـ(طه بن عبد الله العفيفي)، يقول: إن الذي في السماء عذابه، وينكر بعض الصفات؟.

● **الجواب: وما أكثر يا بني الكتب الكافرة الضآلة كثيرة جدًا ملأت الدنيا، والذي وجدته أكتب لنا به حتى ينظر فيه بارك الله فيك، واذكر اسم المكتبة الموجود فيها، وإذا كان عندك نسخة منه أرفقها لنا، وجزاك الله خيرًا، لاسيما في هذا العصر انفتحت أبواب الكتب والطباعة، وكثرت الكتب الباطلة تطبع وتباع، ما همُّ أكثرُ الناس إلا تحصيل (الفلوس) المال، ولو كان الكتاب فاسدًا مهلكاً،نسأل الله العافية.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى «فهم القرآن» قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ، وأن النسخ لا يجوز في الأخبار، قال: «لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسمائه يجوز أن ينسخ منها شيء».

إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عُليَا أن يخبر بذلك أنها دنية سُفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة له، ولا يتكلم ولا كلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش جلَّ وعلا عن ذلك.

فإذا عرفت ذلك واستيقنته: علمت ما يجوز عليه النسخ، وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنَّها ناسخة لبعض

أخباره، كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يُونس: ٩٠] الآية وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محَمَّد: ٣١] .

وقال: قد تأوَّل قوم أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار؛ لأنه آمن عند الغرق، وقالوا: إنَّما ذكر الله قوم فرعون يدخلون النار دُونهُ، وقال: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هُود: ٩٨]، وقال ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غَافر: ٤٥] ولم يقل بفرعون، وقال: وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النَّازعَات: ٢٥] كذلك قوله تعالى ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العَنكبوت: ٣] فأقرَّ التلاوة على استئناف العلم من الله عزَّ وجلَّ عن أن يستأنف علماً بشيء؛ لأنه منْ ليس له علم بما يريد أن يصنعهُ لم يقدر أن يصنعه، نجدهُ ضرورةً.

قال: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤] قال: وإنَّما قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ [محَمَّد: ٣١] إنما يريد حتى نراهُ، فيكون معلومًا موجودًا؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدومًا من قبل أن يكون، ويعلمه موجودًا كان قد كان، فَيعلم فِي وقت واحد معدوماً موجوداً، وإن لم يكن، وهذا محال، وذكر كلاماً فِي هذا فِي الإرادة..

إلى أن قال: وكذلك قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥] ليس معناه: أن يَحْدُث له سمعاً، ولا تكلَّف بسمعِ ما كان من قولهم، وقد ذهب قومٌ من أهل السنة أن لله استماعاً فِي ذاته فذهبوا إلى أن ما يُعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سَمِعَ حَدَثَ له عقدُ فَهْم عمَّا أدركته أذنهُ من الصوت، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبَة: ١٠٥] لا يستحدث بصرًا محدثًا فِي ذاته، وإنَّما يُحدثُ الشيء فَيراه مكوناً، كما لم يزلْ يعلمه

قبل كونه» إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]وقوله ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠] وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٥] وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعَارج: ٤] وقال لعيسى ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾الآية [آل عِمرَان: ٥٥]، وقال﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النِّسَاء: ١٥٨]وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾[الأعرَاف: ٢٠٦]

وذكر الآلهة: أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا حيث هو فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٤٢] أي: طلبه، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

قال أبو عبدالله: فلن ينسخ ذلك لهذا أبدًا.

كذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرُف: ٨٤] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعَام: ٣] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجَادلة: ٧] الآية فليس هذا بناسخٍ لهذا، ولاهذا ضِدٌّ لذلك.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا الذي قاله الحارث المحاسبي كلامٌ عظيم، وهو موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإنَّ أهل السنة أجمعوا على أن الأخبار لاتنسخ، وأن ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به عن الجنة، والنار، وما كان وما يكون كله محكمٌ لا يعتريه النسخ؛ بل هو محكم ثابت، لا شك فِيه ولا ريب، ولا يجوز أن يخبر أنه سبحانه هو الرحمن، وهو

الرحيم، وهو السميع، وهو البصير، وأن الجنة كذا، والنار كذا، ثم يأتي بعد ذلك ما ينسخ ذلك، هذا مستحيل أبدًا؛ بل هو الصادق فِي خبره، وخبره أصدق خبر ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] فِي أشياء ثابتة، وقد أخبر عن نفسه بأسمائه وصفاته، وهي ثابتة له سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ولا يجوز لعاقل أن يتأولها على غير تأويلها، وما جاء فِي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] هذا على معناه، وهو أنه سبحانه مع علوه ومع فوقيته، ومع كونه فِي العلو فوق العرش، وهو مع عباده بعلمه واطِّلاعه ورؤيته لهم، وقربه منهم سبحانه بعلمه واطِّلاعه جلَّ وعلا، ولا يلزم من هذا نسخ تلك الأخبار التي أخبر بها عن نفسه، أنه فوق العرش، وأنه فوق جميع الخلق، وأنَّ الأعمال تُعرجُ إليه، والملائكة تَعرجَ إليه، كُلُّه حقٌّ، وهو فِي العلو فوق السماوات ومع هذا هو مع عباده بعلمه واطِّلاعه ورؤيته لأحوالهم، وكذلك إذا أخبر أنه يعلم كذا، أو لنعلم كذا المعنى، أي: لنعلمه موجودًا بعدما علمه فِي القدر السابق سبحانه وتعالى، وهو يعلم ما كان قبل أن يوجد، ويعلمه بعد أن يوجد، ويراه بعد أن يوجد كما هو معلوم له سبحانه وتعالى فِي القدر السابق، فلاتنافي بين هذا، وهذا، وهكذا ما أشبه ذلك، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] معناه: إثبات ما أخبر به؛ لكن على وجه لا يشابه فِيه خلقه سبحانه وتعالى؛ بل له الكمال المطلق من كل الوجوه، والنقص للعباد والخلق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

واعلم أنَّ هذه الآيات ليس معناها أنَّ الله أراد الكون بذاته، فيكون فِي أسفل الأشياء، أو ينتقل فِيها لا نتقالها ويتبعض فيها على

أقدارها، ويزولُ عنها عند فنائها جلَّ وعزَّ عن ذلك، وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن الله تعالى فِي كل مكان بنفسه كائناً، كما هو على العرش، لا فرقان بين ذلك، ثم أحالوا فِي النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه فِي قولهم ما نفوهُ؛ لأن كلَّ من يثبت شيئاً فِي المعنى، ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات أنَّ الله تعالى فِي كل شيء بنفسه كائناً، ثم نفوا معنى ما أثبتوهُ، فقالوا: لا كالشيء فِي الشيء.

قال أبو عبدالله لنا: قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٤] ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] فإنما معناه: حتى يكون الموجود، فِيعلمه موجودًا، ويسمعه مسموعاً ويبصره مُبصرًا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ﴾ [الإسراء: ١٦]، إذا جاء وقت كون المراد فيه.

وأن قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] فهذا وغيره مثل قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، منزه عن الدخول فِي خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان فِي هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] يعني: فوق العرش، والعرش على السماء؛ لأن «من» قد كان فوق كل شيء على السماء فِي السماء، وقد قال مثل ذلك فِي قوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، يعني: على الأرض، لا يريدُ الدخولُ فِي جوفها وكذلك

قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المَائدة: ٢٦] يعني: على الأرض، لا يريد الدخول فِي جوفها.

وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١]، يعني: فوقها عليها.

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] ثم فصل فقال: ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ولم يصل فلم يكن لذلك معنى فإذا فصل بقوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] ثم استأنف التخويف بالخسفِ إلا أنه على عرشهِ فوق السماءِ.

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السَّجدَة: ٥] وقال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعَارج: ٤]، فبيَّن عروج الأمر، وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدةً إليه فقال: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعَارج: ٤]فقال: صعودُها إليه، وفصلهُ بقوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾ كقول القائل: اصعد إلى فلان فِي ليلة أو يوم، وذلك أنه فِي العلو، وإن صعودك إليه فِي يوم، فإذا صعدوا إلى العرش، فقد صعدوا إلى الله عزَّ وجلَّ، وإن كانوا لم يروه، ولم يساووه فِي الارتفاع فِي علوه، فإنَّهم صعدوا من الأرض وعَرجوا بالأمر إلى العلو، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨] ولم يقل عنده.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

المقصود: من هذا من قول المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما قاله أهل السنة، أنَّ الله جلَّ وعلا فوق العرش، فوق جميع الخلق، وأنَّ علمه سبحانه وتعالى لم يزل عالماً بأحوال عباده بصيراً بهم لطيفاً بهم جلَّ وعلا، وأن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحَديد: ٤] ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبَة: ٤٠] وما أشبهها، معناهُ: الإحاطة بهم، واطّلاعه على أحوالهم، وأنه لا يخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، وليس معناه

أنه معهم فِي الأرض، وأنه حالٌ فِي الأرض، وأنه فِي كل مكان، كما يقول أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة وأشباههم؛ بل هذا من أكفر الكفر، وأبطل الباطل، وهو سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق، وعلمه بكل مكان.

وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] يعني: فِي العلو، فإن السماء كل ما علا، معنى فِي السماء، أي: فِي العلو، يعني: فوق السماوات، فوق العرش، كما قال جلَّ وعلا ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبَة: ٢] يعني: على الأرض ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: ٢٦] يعني: على الأرض ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، يعني: على الجذوع فوقها، قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: على السماء، إذا أريد به السماء المبنية، فالمراد عليها وفوقها، وإذا أريد جنس السماء، فالمعنى أنه فِي العلو سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعَارج: ٤] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] إلى غير هذا ممَّا يدل على العلو، وأنه فوق جميع خلقه سبحانه وتعالى.

وهكذا لم يزلْ عالماً بصيراً بأحوال عباده، قوله جلَّ وعلا ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محَمَّد: ٣١] يعني: حتى نعلم هذا خارجاً موجوداً، وإلا فعلمه بهم قبل أن يوجدوا قد كتب ما يكون، وعلم ما يكون سبحانه وتعالى قبل أن يوجدوا، فهو علم أحوالهم قبل وجودهم، وعلم أعمالهم قبل وجودها، يعلم كل شي قبل وجود الخلق سبحانه وتعالى، قد سبق فِي علمه كل شيء، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محَمَّد: ٣١]، يعني: بعد وجودها، بعد ظهورها فِي الأرض، بعد إيجادهم لها، يعني: حتى نعلمه موجودًا فِي الأرض،بعد ما كان فِي العلم فقط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] ثم استأنف الكلام، فقال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] فيما قال لي: إن إلهه فوق السماوات.

فبيَّن الله سبحانه وتعالى أن فرعون ظنَّ بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته، لطلبه في بيته أو بدنه، أو فِي حشِّهِ، فتعالى الله عن ذلك، ولم يُجْهِدْ نفسه ببنيان الصَّرح.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: أن موسى بلغه أنَّ ربه فِي العلو، وأنه فوق العرش، ولهذا قال لوزيره هامان: ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ لو كان فِي كل مكان لما احتاج فرعون إلى هذا، فعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاؤوا بهذا، ومنهم موسى كليم الرحمن، أخبروا أممهم بأنَّ الله فِي العلو فوق العرش سبحانه وتعالى.

الأسئلة

■ سؤال: أحسن الله إليك الذين يقولون: إنَّ اللّهَ في كل مكان يكفرون بهذا الأمر؟

● **الجواب: نعم. نعم، نسأل الله العافية.**

■ سؤال: وإن كانوا جُهالاً في هذا الأمر يعني: يقولون اللّٰه في كل مكان عن جهل؟.

● **الجواب: نعم؛ لكن ينبهون يعلمون، الجاهل يُعلَّم، يقال له: هذا كفر وضلال، وعليك التوبة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو عبدالله(١): وأمَّا الآية التي يزعمون أنَّها قد وصلها، ولم يقطعها، كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧] فأخبر بالعلم، ثم أخبر أنه مع كل مناج، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] فبدأ بالعلم، وختم بالعلم، فبيَّن أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم، ولو اجتمع القوم فِي أسفل، وناظر إليهم فِي العلو، فقال: إني لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم لكان صادقًا، ـ ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق ـ فإن أبوا إلَّا ظاهر التلاوة، وقالوا: هذا منكم دعوى، خرجوا عن قولهم فِي ظاهر التلاوة؛ لأن من هو مع الاثنين فأكثر، هو معهم لا فِيهم، ومن كان مع شيء فقد خلا منه جسمه، وهذا خروج من قولهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦] لأن ما قرب من الشيء ليس هو فِي الشيء، ففِي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس فِي حبل الوريد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] لم

---

(١) يعني به الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي فلا يزال نقل الكلام عنه.

يقل فِي السماء، ثم قطع، كما قال: ﴿أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم قطع، فقال: ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ إله أهل السماء، وإله أهل الأرض، وذلك موجود فِي اللغة، تقول: فلان أمير فِي خراسان، وأمير فِي بلخ وأمير فِي سمرقند، وإنَّما هو موضع واحد، ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لايخفى عليه شيء من الأشياء يدبره، فهو إله فِيهما إذا كان مدبرًا لهما، وهو على عرشه فوق كل شيء تعالى عن الأشباه والأمثال.أهـ[(١)].

وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن خفِيف فِي كتابه الذي سماه «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» قال فِي آخر خطبته: فاتفقتْ أقوال المهاجرين والأنصار فِي توحيد الله عزَّ وجلَّ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولًا واحدًا، وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»[(٢)] وذكر الحديث. وحديث: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا**»[(٣)].

وقال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى فِي أحكام التوحيد، وأصول الدِّين من «الأسماء والصفات» كما اختلفوا فِي الفروع، ولو كان منهم فِي ذلك اختلاف لنُقل إلينا، كما نقل سائر

---

(١) يعني: ما نقله من كلام المحاسبي رحمه الله في كتابه فهم القرآن (ص٣٣٢-٣٥٦)، ينظر الفتوى الحموية الكبرى بتحقيق التويجري (ص٣٨٤).

(٢) رواه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الترمذي فِي أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فِي الأخذ بالسنة واجتناب البدعة برقم (٢٦٧٦) وقال حديث ...

(٣) رواه من حديث أنس رضي الله عنه البخاري فِي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إثم من آوى محدثا برقم (٧٣٠٦).

الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفِين حتى نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: إثبات أسماء الله وصفاته، والإيمان بذلك وإمرار ذلك كما جاءت به النصوص، على الوجه اللائق بالله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، هكذا درج عليه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، والتابعين لهم بإحسان، ولم يختلفوا فِي هذا، وإنما اختلف أهل البدع كالمعتزلة والجهمية وغيرهم، أمَّا أصحاب النبي ﷺ فكلهم آمنوا بما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته، وأثبتوها لله، وآمنوا بها، وأمروها كما جاءت عن عقيدة، وعن إيمان، وقالوا فيها كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ومدح الله من تابعهم على هذا الطريق قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فهم وأتباعهم بإحسان، هم الذين درجوا على الطريق السوي، واستقاموا على منهج نبيهم ﷺ قولًا وعملًا وعقيدة، فِي أسماء الله وصفاته وتوحيده وإخلاص العبادة له، وترك ما خالف ذلك، وإنْ وقع منهم بعضُ الاختلاف فِي مسائل الفروع، فِي بعض المسائل التي تتعلق بالصلاة أو بالطلاق أو بالنكاح أو بغير ذلك، لكنهم بحمد الله أجمعوا إجماعاً قطعياً على الإيمان بأسماء الله وصفاته وتوحيده والإخلاص له

وترك ما خالف ذلك، ولم يتنازعوا فِي هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

لأن الاختلاف كان عندهم فِي الأصل كفر ولله المنة، ثم إني قائل ـ وبالله أقول ـ إنه لمَّا اختلفوا فِي أحكام التوحيد، وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين، من الصحابة والتابعين، فخاض فِي ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار مُعَوَّلُهم على أحكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به، على مخالفة السنة، والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فِيها ما وافق النفوس، فتأولوا على ما وافق هواهم، وصححوا بذلك مذاهبهم احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين، ومنهاج الأولين خوفًا من الوقوع فِي جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته، ومنع المستجيبين له حتى حذرهم.

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي ﷺ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ وَغَضَبَهُ[1].

وحديث: «لا أَلْفِيَنَّ أَحَدُكم مُتَكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ»[2]،

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ينظر: المسند (٢/ ١٧٨) وابن ماجه المقدمة، باب فِي القدر برقم (٨٥)، وقال اليوصيري في «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجد» هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (١/ ٥٨)، وصحح أحمد شاكر إسناده في تعليق على المسند (١٠/ ١٥٣).

(٢) رواه أبو داود والترمذي عن أبي رافع رضي الله عنه أخرجه أبو داود فِي كتاب السنة، باب لزوم السنة برقم (٤٦٠٥)، والترمذي فِي أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ برقم (٢٦٦٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

وحديث: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ»[١] فإن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه.

ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسانٍ، المعروفِين بنقل الأخبار ممّن لايقبلُ المذاهب المحدثة، فيتصل ذلك قرنًا بعد قرن ممن عُرفوا بالعدالة، والأمانة الحافظين على الأمة ما لهم، وما عليهم من إثبات السنة[٢].

إلى أن قال: فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها، ذكر أسماء الله عزَّ وجلَّ فِي كتابه، وما بين ﷺ من صفاته فِي سنته، وما وصف به عزَّ وجلَّ [نفسه] ممّا سنذكر قول القائلين بذلك، ممّا لا يجوز لنا فِي ذلك أن نردّه إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفِية بذلك، وممّا قد أُمرنا بالاستسلام له.

إلى أن قال: ثم إنَّ الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية، والإقرار بالألوهية، أن ذكر تعالى فِي كتابه بعد التحقيق، بما بدأ من أسمائه وصفاته، وأكّده عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله: لا إله إلا الله.

إلى أن قال: بإثبات نفسه بالتفصيلِ من المجمل، فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨].

---

(١) رواه أبو داوود من حديث أبي هريرة ؓ فِي كتاب السنة، باب شرح السنة رقم (٤٥٩٦) وهذا لفظة، والترمذي فِي أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فِي افتراق هذه الأمة وغيرهما برقم (٢٦٤٠)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) قال سماحة الشيخ: ؓ ورحمهم الله.

ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام، فقال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾[الأنعام: ٥٤].

وأكد ﷺ صحة إثبات ذلك في سنته، فقال: يقول الله ﷻ: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»(١).

وقال ﷺ: «كَتَبَ كِتَابًا بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(٢).

وقال: «سُبْحَانَ اللّٰهِ رِضَا نَفْسِهِ»(٣)، وقال في محاجة آدم لموسى: «أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللّٰهُ وَاصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ»؟(٤).

فقد صرح بظاهر قوله أنه أثبت لنفسه نفسًا، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه، ويكون ذلك مبنيًّا على ظاهر قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] برقم (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى برقم (٢٦٧٥).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين برقم (٧٤٠٤)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥١).

(٣) رواه مسلم من حديث جويرية رضي الله عنها أخرجه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم برقم (٢٧٢٦).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١] برقم (٤٧٣٦)، ومسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى برقم (٢٦٥٢).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهكذا بقية الصفات، وأراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كما بيَّن لنا توحيده، وأنه مستحق للعبادة، وبيَّن بطلان الشرك، هكذا بين أسماءه وصفاته حتى نعرفه بها سبحانه، فوجب على الأمة تقبل هذه الأسماء والصفات والإيمان بها على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] نؤمن بها ونُمرها كما جاءت، على هذا المنوال، على هذا الأساس، وأنه سبحانه لا يماثله شيء﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ومن ذلك النفس، قد ذكرها الرّب فِي كتابه سبحانه وتعالى، وذكرها الرسول ﷺ، فنثبتها كما جاءت: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمران: ٢٨] ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] .

فهذه الآيات وما جاء فِي معناها، كلها دالة على إثبات النفس، وهكذا الأحاديث، فوجب على أهل الإيمان إثباتها، وأنها حق لكنها ليست من جنس أنفس المخلوقين؛ بل لله سبحانه وتعالى نفس، وسمع، وبصر، ورضا، وغضب، ورحمة، وغير ذلك، كله يليق بالله سبحانه وتعالى، لا يشابه صفات المخلوقين، وهكذا وجهه، ويده، وقدمه، وأصابعه، وغير ذلك، كلها طريقها واحد، فالواجب إثباتها والإيمان بها، وأنها حق على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، هذا طريق أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، خلاف أهل الكلام الذين تنطعوا، وقالوا ما ليس لهم به علم وأوّلو النصوص، وحقيقة ما قالوه التكذيب، نسأل الله العافية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به ﷺ، وإن مما قص الله علينا في كتابه ووصف به نفسه، ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ثم قال عُقيب ذلك: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ وبذلك دعاه ﷺ: «أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»(١) ثم ذكر حديث أبي موسى: «**حِجَابُهُ النُّورُ ـ أَوْ النَّارِ ـ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٢)، وقال: سبحات وجهه: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد، وقال عبدالله بن مسعود: نور السّموات من نور وجهه(٣).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

من تأمل فيه يقتضي أن الحجاب غير السبحات وأنه حجاب مستقل، وهو نورٌ، أيضاً بائن من وجهه الكريم سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: «لو كشفه».

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واللفظ لمسلم أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] برقم (٧٣٨٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه عنه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٨٨٨٦) (٩/ ١٧٩) وأبو نعيم في الحلية برقم (١/ ١٣٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: وممّا ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، والحديث: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ اسْتَغِيثُ**»[١].

قال: وممّا تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهًا، وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم[٢] فقال: فِي هذا الحديث من أوصاف الله عزَّ وجلَّ «لَا يَنَامُ» موافق لظاهر الكتاب: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وأن له: «وَجْهًا» موصوفا بالأنوار، وأنِ له «بَصَرًا» كما علّمنا فِي كتابه أنه سميع بصير، ثم ذكر الأحاديث فِي إثبات الوجه، وفِي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك.

ثم قال: ثم إن الله تعالى تعرّف إلى عباده المؤمنين، أن قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث فِي ذلك، ثم ذكر شِعْرَ أمية بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث: «**يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَع فِيهَا رِجْلَهُ**»، وهي رواية البخاري، وفِي رواية أخرى: «**يَضَعُ عَلَيْهَا قَدَمَهُ**»[٣].

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: أنَّ الكرسي موضع

---

(١) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه فِي أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب [٩٢] باب قوله: ياحيُّ يا قيوم برقم ٣٥٢٤ وأورده الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الذكر والدعاء ... عن ابن مسعود وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه برقم ١٨٧٥ ووافقه الذهبي (١/ ٥٠٩)

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه بلفظيه: القدم، والرجل.

القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله[١]، وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السدي، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: «موضع قدميه» وبعضهم يقول: «واضع رجليه عليه».

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي ﷺ [٢] مُتَداولة فِي الأقوال، ومحفوظة فِي الصدر، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نُظَرَائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة فِي كتبهم إلى أن حدث فِي آخر الأمة من قلل الله عددهم.

قال سماحة الشيخ: الله يقللهم ويكفينا شرهم.

الأسئلة

■ سؤال: أحسن الله إليك هل ثبت أن من أسماء الله النور؟.

● **الجواب: ما أعرف شيئاً فِي الروايات، وما أذكر شيئاً فِي الروايات، سواء فِي الكلمة: «الله نور السموات»، أو «نور أنى يرى»؟، أو «حجابه النور» كذلك.**

■ سؤال: أحسن الله إليك هل ورد نسبة الحقوين لله؟

● **الجواب: جاء فِي الحديث الصحيح.**

■ سؤال: هل صحيح حديث المنع من زيارة أهل البدع، وتشييع جنائزهم؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] قال: «كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره»، رواه الدار قطني فِي كتاب الاسماء والصفات (ص٣).

● **الجواب: جاء فِي عدة روايات وظاهر كلام الشيخ.. إثباتها أنهم مجوس هذه الأمة؛ لأنها لها طرق متعددة يشد بعضها بعضًا؟**

■ سـؤال: الكرسي موضع القدمين؟.

● **الجواب: هكذا ثبت عن ابن عباس نعم، ومثله لا يقال بالرأى.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا أن لا نعود مَرضَاهم، ولا نُشيِّع جنائزهم[1]، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الأخبار، فعملوا فِي دفعها إلى أحكام المقاييس، وكفَّروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلُّوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر: المأثور عن ابن عباس، وجوابه لنجدة الحروري، ثم حديث الصورة[2] وذكر أنه صنّف فِيه كتابًا مفردًا، واختلاف الناس فِي تأويله.

ثم قال: وسنذكر أصول السنَّة، وما ورد من الاختلاف فِيما نعتقده

---

(١) ورد وصف القدريه هذا فِي حديث مرفوع عن ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه أبو داود فِي كتاب السنة باب فِي القدر برقم (٤٦٩١)، والحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الإيمان برقم (٢٨٦)، وصححه ووافقه الذهبي: إن صح لأبي حازم سماع عن ابن عمر (١/ ٨٥)، كما صححه الشيخ الألباني فِي السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٤٨).

(٢) لعله، يعني: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله خلق آدم على صورته» أخرجه البخاري فِي كتاب العتق باب إذا ضرب العبد فليتجنب الوجه برقم (٢٥٥٩)، ومسلم فِي كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه برقم (٢٦١٢).

فِيما خالفنا فِيه أهل الزيغ، وما وافقنا فِيه أصحاب الحديث من المثبتة إن شاء الله.

ثم ذكر الخلاف فِي الإمامة واحتج عليها: وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم الصدِّيق رضي الله عنه وأنه أفضل الأمة.

ثم قال: وكان الاختلاف فِي خلق الأفعال، هل هي مقدَّرة أم لا؟ قال: وقولنا فِيها أن أفعال العباد مقدرة معلومة، وذكر إثبات القدر.

ثم ذكر الخلاف فِي أهل الكبائر، ومسألة الأسماء والأحكام، وقال: قولنا فِيها إنهم مؤمنون على الإطلاق، وأمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم.

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها: أفعال العباد، فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف فِي زيادة الإيمان ونقصانه، وقال: قولنا إنه يزيد وينقص.

قال: ثم كان الاختلاف فِي القرآن مخلوقًا وغير مخلوق، فقولنا، وقول أئمتنا إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه صفة الله منه بدأ قولا، وإليه يعود حُكمًا.

ثم ذكر الخلاف فِي الرؤية، وقال: قولنا وقول أئمتنا فِيما نعتقد أن الله يُرى فِي القيامة وذكر الحجة.

ثم قال: واعلم ـ رحمك الله ـ، أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب الْمُحدثين فِي كل الأزمنة، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود، فنقول: ونعتقد: أنَّ الله عزَّ وجلَّ له عرشٌ، وهو على عرشه، فوق سبع سماواته بكل أسمائه وصفاته، كما قال

تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السّجدَة: ٥] ولا نقول: إنه فِي الأرض، كما هو فِي السماء على عرشه؛ لأنه عالم بما يجري على عباده، ثم يعرج إليه، إلى أن قال: ونعتقدُ أنَّ الله تعالى خلق الجنَّة والنَّار، وأنَّهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء.

إلى أن قال: ونعتقدُ أن النبي ﷺ عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى.

إلى أن قال: ونعتقد أنَّ الله قبض قبضتين، فقال: «هَؤُلَاءِ لِلجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ للنَّارِ»(١).

ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضًا، ونعتقد أنه أول شافع، وأول مشفع، وذكر الصراط، والميزان، والموت، وأن المقتول قتل بأجله، واستوفى رزقه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

كل هذا يتبيّن به أن المؤلف، وهو محمد بن خفيف على طريقة أهل السنة والجماعة فِي إثبات ما أثبته أهل السنة والجماعة من جميع ما ذكر، من إثبات الإيمان، وأنه حق، وأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأن العصاة تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أدخلهم النار على قدر معاصيهم إذا ماتوا عليها، وهكذا ما ذكره من إثبات العرش، وأن الله فوق العرش، كما يشاء

---

(١) روى هذا اللفظ عن عدد من الصحابة مرفوعًا وموقوفًا، فمن المرفوع ما رواه الإمام أحمد فِي المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه (٥/ ٢٣٩)، ومنه حديث أبي موسى مرفوعًا رواه الطبراني فِي المعجم الكبير (٢٠/ ٢٠٧)، وفِي الأوسط برقم (١١٤٣١)، وذكرهما الهيثمي فِي مجمع الزوائد (٧/ ١٠٤).

سبحانه وتعالى، وعلمه فِي كل مكان، وهكذا ما ذكره بعد ذلك من العروج بمحمد ﷺ بنفسه، إلى ما فوق السماء السابعة، كل هذا حق.

وهكذا ما ذكر من خلق الجنَّة والنَّار، أنَّ الله خلقهما، وأنهما موجودتان للبقاء لا لفناء أعدَّ الجنَّة للمتقين، وأعدّ النَّار للكافرين، إلى غير هذا ممّا بيَّنه رحمه الله، وأنه على طريق أهل السنة والجماعة، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فهو على طريقة أهل السنة رحمه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

إلى أن قال: - أي محمد بن خفِيف -: ومِمّا نعتقد «أَنَّ الله يُنْزِلُ كُل لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاء الدُّنيَا فِي ثلث الليل الآخر، فَيبسط يده، فَيقول: «ألا هل من سائل» الحديث وليلة النصف من شعبان[١]، وعشية عرفة، وذكر الحديث فِي ذلك[٢].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

أمَّا ما يتعلق [بليلة] النِّصف من شعبان، فالحديث فِيه ضعيف، وقد خفى على المؤلف رحمه الله وهو ابن خفِيف، أمَّا التنزل يوم عرفة، فقد جاء هذا فِي صحيح مسلم: «إِنَّ اللهَ يَدْنُو فَيبَاهِي بِهِمْ الْمَلائِكَةِ»[٣] يعني:

---

(١) وردت عدة أحاديث في ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم منها حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي في كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان برقم (٧٣٩)، وقال لا يعرف هذا الحديث إلا من طريق الحجاج بن أرطأة، وقال سمعت محمد يعني: البخاري يضعف هذا الحديث .

(٢) فقد ضعفه البخاري فيما ذكره الترمذي من قبل الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٦٥٩)، وضعفه العويصري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه من طريق أبي موسى (١/ ٤٤٧).

الواقفون بعرفة يدنو، وليس فِيه التصريح بسماء الدنيا، إن الله يدنو فيباهي بهم الملائكة، ويقول: «ما أراد هؤلاء»، ونزول آخر الليل، هذا ثابت فِي الصحاح عن النبي ﷺ أنه ينزل إلى السماء كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «**من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» وفِي اللفظ الآخر: «**هل من داع فَيستجاب له، هل من سائل فَيعطى سؤله، هل من تائب فيتاب عليه**»[(١)] كل هذا حق.

أمَّا ما يتعلق بالنصف من شعبان، فالحديث فِيها ضعيف، ولم يثبت فِي النصف من شعبان أحاديث، لا فِي قيامها، ولا فِي صوم نهارها، ولا فِي التنزل، كل ما ورد فِيها هو ضعيف عند أهل العلم.

الأسئلة

■ سـؤال: رحمك الله يبقى حتى يطلع الفجر؟

● **الجواب: نعم. اللهم صلِّ عليه وسلم.**

■ سـؤال: الله يحسن إليك لو تفسِّر لنا «إن الله قبض قبضتين»؟

● **الجواب: القبضتين قبضة للجنة وقبضة للنار، يعني خلق أهل الجنة ووفقهم لأعمالها، وخلق أهل النار وخذلهم، ولم يوفقهم لأعمال أهل الجنة، نسأل الله السلامة.**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

■ سؤال: من كان له ورد مثل الاثنين أو الخميس ووافق النصف من شعبان هل له صوم؟.

● **الجواب: نعم. يصوم الأيام البيض، أيام الخميس، فِي شعبان وفِي غيره، ليس عليه شيء.**

■ سؤال: قوله: «عرج بنفسه»؟.

● **الجواب: يعني: بروحه وبجسده، ليس منامًا؛ بل يقظة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: ونعتقد أن الله تعالى كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلا، وأن الخُلَّةَ غير الفقر، لا كما قال أهل البدع.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

الفقر يقال له: الخُلَّة، خَلَّة، يعني: حاجة، فهم تأولوه على الحاجة، يعني: اتخذه فقيرًا إليه، وهذا غلط، الخُلّة هي: المحبة، اتخذه خليلًا يعني: محبوبًا محبة خاصة، كما اتخذ محمدًا خليلا عليه الصلاة والسلام، فالله يُحِبُّ ويُحَبُّ جلَّ وعلا؛ ولكن أهل البدع تأولوها على إرادة الخير، وإرادة الإحسان، وهذا غلط، فإنَّ المحبة صفة مستقلة غير الإرادة تليق بالله، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] قد تكررت فِي القرآن الكريم، وجاءت فِي السنة، والخُلة أعلاها وأكملها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

[قال ابن خفِيف] ونعتقد أنَّ الله تعالى خص محمدًا ﷺ بالرؤية، واتخذه خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا..

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا الذي قاله: أبو عبد الله بن خفِيف فِي الرؤية مرجوح، والصواب: أنه لم ير ربه عليه الصلاة والسلام، ولم يختص بها، بل لم ير أحدٌ ربه فِي الدنيا لا محمد؛ ولا غيره، فالرؤية مما ادخرها الله للمؤمنين فِي الآخرة، قال ﷺ فِي الحديث الصحيح **«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»**[1] ولما سئل عن الرؤية، هل رأيت ربك؟[2] قال: **«رَأَيْتُ نُورًا»** وفِي لفظ آخر قال: **«نُورٌ أَنَّى أُرَاهُ»**[3]، هذا هو الصواب: وأنه ﷺ إنما كلمهُ ربه كما كلم موسى، أمَّا الرؤية فلم يره، فِي هذا الحديث الصحيح، حديث أبي موسى: **«حِجَابُهُ النُّور لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»**[4]سبحانه وتعالى.

فالرؤية لها شأن عظيم، وهي أعلى نعيم أهل الجنة، فادخر الله لهم فِي الآخرة، وليست من نعيم الدنيا، الدنيا دار الأكدار والأحزان والمعاصي والكفر والضلال، فليست الرؤية من نعيم أهلها، وإنّما هي

---

(١) رواه مسلم من حديث ابن شهاب قال: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ أخرجه فِي كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد بعد برقم (٢٦٣١)، وإن كان أصله قد تقدم برقم (١٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

من نعيم أهل الجنَّة والسعادة فِي الآخرة.

والعجب من المؤلف ﷺ ـ المصنف ـ كيف سكت عن هذا، ولم ينبْه عليه، كما لم ينبه على ما تقدم من النزول فِي شعبان، ينبغي أن تنبه على هذا، وهذا ليس بمسَلّم لا هناك ولا هنا، والصواب أنه لم ير ربه فِي الدنيا، وأحاديث النزول فِي شعبان ضعيفة، فنبه على هذا ابن القيم وغيره.

الأسئلة

■ سؤال: ألا يستدل بهذا على عموم الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] ؟

● **الجواب: كذلك حجة قائمة، نعم** ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

■ سؤال: بعض المتأخرين من المحققين جمع طرق «أَنَّ اللَّهَ يَنزِلُ فِي لَيلَةِ النِّصفِ مِن شَعْبَان»[1] ويقول: إنه صحيح.

■ سؤال: من الشيخ مَن؟

● **الجواب: من السائل: الشيخ: ناصر الألباني.**

● **الجواب: يراجع، علمي به أنه ليس بصحيح تتبعته من قديم، وليس بصحيح، قد يغلط فِي بعض المسائل، وفِي بعض الأحاديث.**

■ سؤال: فِي رسالة لابن أبي الدنيا، فِي فضائل رمضان جمع طرق الحديث؟

---

(١) سبق تخريجه.

● **الجواب: لابن أبي الدنيا؟ مطبوعة؟ أم مخطوطة؟ صورها لنا؟**

■ سؤال: مثل هذه الأشياء يا شيخ تثبت إذا كان درجة الحديث من قبل الحسن لغيره.

● **الجواب: قد يقع لكن باب الصفات، باب عظيم ليس من الفضائل ينبغي أن يُعتنى به أكثر.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤][1] ونعتقد المسح على الخين: ثلاثاً للمسافر ويوماً وليلةً للمقيم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

ذكر المسح هنا؛ لأنه مخالف لعقيدة الرافضة في إنكار المسح، لهذا ذكروا أهل السنة المسح على الخفين هنا، وإن كانت مسألة فرعية، لكن لما كان أهل الرفض يخالفون فيها، أثبتوها في عقائد أهل السنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ونعتقد الصبر على السلطان من قريش ما كان من جور أو عدل، ما أقام الصلاة من الجُمعِ والأعياد، والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، وروى البخاري في كتاب التفسير باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: مفاتيح خمس ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]برقم (٤٧٧٨).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

كذلك قوله: «مِنْ قُرَيْشٍ»[١] ليس بجيِّد، وإن كان هو الأصل؛ لكن السلطان يُصبرُ عليه، ولو من غير قريش، إذا تولَّى لايُخرج عليه بالمعصية، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فِيه برهان، سواء من قريش أو من المماليك، أو من أي جنس، متى تولّى على النّاس، وبايعوه، أو غلب عليهم بسيفه، وجب السمعُ والطاعة له، كما جاء فِي الأحاديث الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لكن البيعة الاختيارية تكون لقريش إذا تيسر من يصلح لهذا وأمكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والصلاة فِي الجماعة حيث يُنادى لها واجبٌ إذا لم يكن عُذرٌ أو مانعٌ، والتراويح سُنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمدًا، فهو كافر، والشهادة، والبراءة بدعة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذه من ابن خفيف تدل على علم كبير، كونه أقدم على هذا مع كثرة المنازعين فِيه يدل على قوة التحقيق، وكمال علم؛ لقوله ﷺ: **«العَهدُ الَّذِي بِيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةِ، فَمَن تَرَكَهَا، فَقَد كَفَرَ»**[٢] **«بَيْنَ الرَّجُلِ**

---

(١) لعله يعني: به حديث الأئمة من قريش الذي رواه ابن أبي شيبة من حديث علي وأنس رضي الله عنهما أخرجهما في المصنف برقم (٣٢٣٩٧) (٦/ ٤٠٣) وبرقم (٣٢٣٨٨) (٦/ ٤٠٢٩.

(٢) رواه الترمذي من حديث بريد الأسلمي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب أخرجه فِي أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء فِي ذكر الصلاة برقم (٢٦٢١)، والنسائي فِي كتاب الصلاة باب الحكم فِي تارك الصلاة برقم (٤٦٣)، وابن ماجه في كتابه الإقامة باب ما جاء فِيمن ترك الصلاة برقم (١٠٧٩).

وَبَيْنَ الكُفر وَالشِّركِ تَرْكُ الصَّلاةِ»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: ولو كان عنده معصية، يصلي عليه، إنسان مات من أهل القبلة، يعني: من أهل الإسلام يصلَّى عليه، وإن كان عنده شيء من المعاصي، ليس من شرط الصلاة على الجنائز أن يكون كاملًا أو سليمًا؛ بل يُصلى على الطيب، وعلى العاصي؛ لأن الصلاة شفاعة تنفعه.

الأسئلة

■ سـؤال: قوله: والشهادة والبراءة بدعة، ما مراده يا شيخ؟

● **الجواب: ما أدري ما مراده، يحتمل أنه يعني: الشهادة لأحد بجنة أو نار إلَّا بدليل، كما قال أهل السنة والجماعة فِي إنسان معين، أو البراءة من معين إلا بدليل، محتمل عبارته مجملة.**

■ سـؤال: أحسن الله إليكم، البراءة عند الرافضة، يتبرؤون من أبي بكر وعمر؟

● **الجواب: ليس مراده هذا.**

---

(١) رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله أخرجه فِي كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم (٨٢).

■ سؤال: ذكر هذا شارح الطحاوية، أن البراءة بدعة، والشهادة بدعة، وفسره بأن البراءة من أبي بكر وعمر، والشهادة؟.

● **الجواب: ما يختص بأبي بكر وعمر البراءة من أولياء الله منكر عظيم حتى من غير أبي بكر وعمر.**

■ سؤال: هل يقال: هذا شهيد، هذا استشهد أو كذا؟

● **الجواب: نعم إذا قُتِل فِي سبيل الله، هذا شهيد فِي الحكم الشرعي أما فِيما بينه وبين الله، فالله يتولاه سبحانه؛ لكن هو شهيد لا يغسل، ولا يصلَّى عليه إذا قتل فِي سبيل الله شهيدًا.**

■ سؤال: أشهد أنه شهيد؟

● **الجواب: نعم.**

■ سؤال: الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ما يقال: من معرفتهم الجنين ذكر أو أنثى؟

● **الجواب: هذا بعد ما يتخلق، بعدما يأذن الله للملَك أن يخلقه ذكر أو أنثى، بعد أن اطلع عليه الملك صار العلم مشتركًا، ولم يعد من خصائص الله، ممكن بالآلات أن يطَّلعوا على شيء من هذا بعد التخليق أمَّا قبل ذلك فلا.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ولا ننزل أحدًا جَنَّةً ولا نارًا حتى يكون الله ينزلهم، والمراء والجدال فِي الدين بدعة.

الأسئلة

■ سـؤال : ما الفرق بين المراء والجدال؟

● **الجواب: متقاربة المراء التفسير، قد يكون المراء أشد، الجدالُ إذا اشتدَّ صار مراء.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله ونترحم على عائشة ونترضى عنها، والقول: فِي اللفظ والملفوظ، وكذلك فِي الاسم والمسمى بدعة والقول فِي الإيمان مخلوق، أو غير مخلوق بدعة.

واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنَّة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مُجملا من غير استقصاء، إذْ تقَّدم القولُ من مشايخنا المعروفِين من أهل الإمامة والديانة، إلَّا أني أحببت أن أذكر «عقود أصحابنا المتصوفة» فيما أحدثته طائفة انتسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزَّه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

قصده من هذا بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، التي تلقوها عن سلف الأمة من الصحابة، وأن هؤلاء الذين يُنْسبون إلى التصوف من أهل الزهد والورع والاستقامة، ليسوا على حال المتأخرين الذين غيَّروا وبدلوا، فمقصوده أن المتصوفة قسمان:

قسم ساروا على نهج السلف، ونسب إلى التصوف منهم من نسب لورعه وزهده وإقباله على العبادة؛ ولكنه متمسك بطريقة أهل السنة

والجماعة، كالجنيد، وأبي سليمان الداراني، والشحاري وأشباههم من أهل الصدق.

أمَّا الذين أحدثوا، وغيَّروا وبدلوا، بدعًا كثيرة، هؤلاء ليسوا منهم في الحقيقة.

■ سؤال: قوله: اللفظ والملفوظ؟.

● **الجواب: يعني قوله: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن هذا فِيه إجمالٌ ولهذا أنكر السلف على هذا؛ ولكن يصرح صوتي مخلوق، وأمَّا القرآن فهو غير مخلوق يوضح لا يُجمل.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

... إلى أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري فِي كتاب سماه «التبصير» كتب بذلك إلى أهل طبرستان فِي اختلاف عندهم، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهبُ إليه، فذكر فِي كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى، فذكر عن طائفةٍ إثبات الرؤية فِي الدنيا والآخرة، ونَسب هذه المقالة إلى الصوفِية قاطبة، لم يخص طائفة فبيَّن أن ذلك على جهالة منهُ بأقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول - بعد أن ادعى على الطائفة - ابن أخت عبدالواحد بن زيد، والله أعلم محله عند المخلصين، فكيف بابن أخته، وليس إذا أحدث الزائغُ فِي نحلته قولًا نسب إلى الجملة، كذلك فِي الفقهاء والمحدِّثين ليس من أحدث قولًا فِي الفقه، أو ليس فِيه حديثًا يناسب ذلك، ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم أن لفظ «الصوفِية» وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم، ومرموزات وإشارات تجري فيما بينهم، فمن لم يداخلهم

على التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم، وهو خاسئٌ وحسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد، فقال: كثيرًا ما يقولون: رأيتُ الله، يقول: وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال رأيت الله، ثم عبدته، فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم ترهْ الأبصار بتحديد الأعيان؛ ولكن رؤية القلوبُ بتحقيق الإيقان، ثم قال: وأمَّا هو أنه تعالى يُرى فِي الآخرة، كما أخبر فِي كتابه، وذكرهُ رسوله ﷺ، هذا قولنا وقول أئمتنا دون الجُهَّال من أهل الغباوة فينا.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

مراده رحمه الله أن لهم اصطلاحات قد لا يفهمها بعض الناس، فينسب إليهم ما هم براء منه، وفيهم جُهَّال قد لا يتقيدون بالسنة، وما عليه سلف الأمة، وهو صادق فِي هذا كله، وكان ينبغي لهم ألا يأتوا بألفاظ مبهمة، وينبغي لهم ألا يأتوا بألفاظ تستنكر عليهم؛ بل ينبغي أن يسلكوا الطريق الواضح حتى لا يتهموا بالباطل، فاللوم يلاومون عليه فيما أحدثوا من الإشارات والاصطلاحات التي قد لا يفهمها من لا يعرف حالهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

[قال ابن خفيف]: وإنَّ مما نعتقده أنَّ الله حرَّم على المؤمنين دماءهم، وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك فِي حجة الوداع(١)، فمن زعم أنه يَبْلُغُ مع الله درجة يبيح الحقُّ له ما حظر على المؤمنين إلا

(١) وقد روي ذلك عن عدد من الصحابة منهم ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري فِي كتاب الحج باب الخطبة أيام منى برقم (١٧٣٩)، ومسلم فِي كتاب حديث جابر رضي الله عنه الطويل فِي كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس ولو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات، فذلك كفر بالله، و قائل ذلك قائل - بالإباحة -، وهم المنسلخون من الديانة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا مثل ما قال المؤلف: من زعم أن له صلة بالله، وأنه يروي بقلبه عن ربه ممَّا يظنه أولئك الجُهَّال من الصوفية، حتى يُحلُّوا ما حرَّم الله، ويحرِّموا ما أحلَّ الله على الناس بزعمهم أنهم تلقوه عن ربهم هذا من الكفر والضلال، فليس هناك وحي بعد رسول الله ﷺ؛ بل انقطع، وتمت الرسالة وختمت.

فالواجب على جميع الناس أن يتلقوا دينهم عن رسول الله ﷺ، وعن كتاب الله، فمن زعم من الصوفِية أن له طريقة أخرى يتلقى بها العلم عن الله دون الرسول ﷺ فهذه طريقة فاسدة وباطلة؛ بل كفر وضلال، وخروج عن دائرة الإسلام، نسأل الله العافية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال ابن خفِيف]: وإنَّ مما نعتقده تركُ إطلاقِ تسمية العشق على الله، وبيَّن أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

صدق لايقال: عشقْتُ الله؛ ولكن يقال: أحببت الله؛ لأن العشق كلمة مجملة فتقع فِي ألسنة المفسدين والسفهاء فِي العشق المحرم والمحبة المحرمة، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسهُ كالحبِّ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] فلا يأتي بألفاظ محدثة لم ترد فِي النصوص؛

ولكن يقول: أحبُّ الله ورسوله، وأحببت الله ورسوله؛ لأن هذا هو الذي جاء فِي النصوص.

الأسئلة

■ سـؤال : والشوق؟

● **الجواب: وهكذا الشوقُ جاءت فِي النصوص**[1].

■ سـؤال : قوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»[2]؟

● **الجواب: صحيح.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال: أدنى ما فِيه أنه بدعة وضلالة، وفِيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.

وإنَّ ممَّا نعتقدهُ: أنَّ اللهَ لا يَحل فِي المرئيات، وأنه المتفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه، مستوٍ على عرشه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا هو الحقُّ، أَنَّهُ سبحانه فوق العرش، فوق جميع الخلق، وليس بحال فِي المخلوقات؛ بل هو فوق العرش فوق جميع الخلق بائن

---

(١) كحديث: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك» أخرجه النسائي من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما في كتاب صفة الصلاة باب الدعاء بعد الذكر برقم (١٣٠٥).

(٢) رواه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه فِي كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

من خلقه سبحانه وتعالى، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وهو قول أهل الحقِّ، وهو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة، فما قاله أبو عبد الله بن خفِيف، وقد حقق الصواب فِي هذا كما تقدَّم أيضًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال ابن خفِيف]: وأن القرآن كلامه غير مخلوق، حيث ما تلي ودرس وحفظ .. ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ نبينا محمدًا ﷺ خليلًا وحبيبًا[1] والخُلَّة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخلة الفقر والحاجة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

الخلة عند أهل السنة والجماعة هي أعلى المحبة، وليست هي الفقر والحاجة كما يقول: بعض الصوفِية؛ بل الخلة هي معنى المحبة الخالصة الكاملة

والقرآن: هو كلام الله ـ كما قال المؤلف ـ منزلٌ غير مخلوق عند أهل السنة والجماعة، والخليلان هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام خصهم الله بأعلى المحبة وأكملها، وهو سبحانه يحب كل مؤمن، ويحبُّ كل مؤمنة ويحبُّ جميع الرسل والأنبياء،لكن اختص هذين الشخصين بالخُلة، وهما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام وهي أعلى المحبة.

---

(١) فقد ورد عن جندب رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلا، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا ..» الحديث، رواه مسلم فِي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور برقم (٥٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

..إلى أن قال: والخُلَّة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفاتُ الخلق من المحبة والخلة جائزٌ عليها الكيْفُ، فأما صفاته تعالى فمعلومة فِي العلم وموجودةً فِي التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب واسم الكيفِية عن ذلك ساقط.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا قول أهل السنة والجماعة، فهي خُلَّة تليق بالله، ومحبة تليق بالله، لاتشابه خُلَّة المخلوقين، ولامحبة المخلوقين، وهكذا بقية الصفات، كلها تليق بالله على وجهٍ لا يماثلُ فِيه خلقهُ، فالكيفية منتفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[قال ابن خفِيف] وممَّا نعتقدهُ أنَّ الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات وإنما حرَّم الله الغشَّ والظلم، وأمَّا من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضالٌ مضلٌ مبتدعٌ، إذ ليس الفساد والظلم والغشُّ من التجارات والصناعات فِي شيء، إنَّما حرَّم الله ورسوله الفساد، لا الكسب ولا التجارة، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائزٌ إلى يوم القيامة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا مثل ما قال المؤلف هو الحقُّ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥] الله أباح المكاسب، والصناعات من النجارة، والحدادة، والخرازة وغير ذلك، وكل ما ينفع العباد، وإنَّما حرَّم المكاسب

الخبيثة، كالغش، والخيانة، والربا ونحو ذلك، أمّا المكاسب المباحة فالله أباحها للعباد، والعقود المباحة من الإجارات والبيوع وغير ذلك؛ ليستعينوا بها على طاعته، وأداء حقِّه سبحانه وتعالى.

■ سـؤال: الذي يقول: قراءتي ونطقي، بالقراءة مخلوقة؟

● **الجواب: ينبغي أن يصرِّح أصوات هذه، أمَّا القرآن غير مخلوق، أمَّا: لفظي يوهم، أي يراد: ملفوظي؛ لكن يصرح بصوته، أن صوته مخلوق، أمَّا القرآن: فهو كلام الله غير مخلوق.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وإنَّ مما نعتقدهُ أنَّ الله لا يأمر بأكل الحلال، ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأنَّ ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقدُ أنَّ الأرض تخلوا من الحلال، والناس يتقلبون فِي الحرام، فهو مبتدعٌ ضَالٌ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا من التكلف، وسوء الظن، الله أباح الحلال وأمر به، وهو موجود بحمد الله، ومن زعم أنه انتزع من الأرض، فقد غلط وضلَّ، الحلال موجود يجده من طلبه فِي المكاسب الشرعية المباحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

إلا أنه يقلُّ فِي موضع، ويكْثُر فِي موضع، لا أنه مفقود من الأرض.

ومما نعتقدهُ: أنَّا إذا رأينا مَن ظاهره جميل لانتهمه فِي مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة فِي تجارته، فليس علينا

الكشف عمَّا قاله، فإنْ سأل سائلٌ على سبيل الاحتياط جاز إلا من داخل الظلمة، ومَن ينزع عن الظلم، وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك، فالسؤال والتوقي، كما سأل الصدِّيقُ غلامه، فإن كان معه من المال سوى ذلك ممَّا هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا، فلا يطلق عليه الحلال ولا الحرام، إلا أنه مشتبه، فمن سأل استبرأ لدينه، كما فعل الصدِّيق[١].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

معنى هذا أن الأصل الإباحة، ومن ظاهره الخير لا يظن به السوء، فيأكل طعامه ويشرب شرابه، ومَن تلبَّس بشيء من الحرام وسئل عن ذلك فلا بأس؛ ولكن عليه أن يستبرأ من الحرام، ويبعده من ماله، وينتفع بالحلال، فإذا دخل عليه مال من الحرام، من سرقة أو من خيانة أو من غير ذلك من طرق الحرام، استبرأ وأبعده من ماله بالتحري، والظنِّ، وأكل البقية سليمًا لا حرج فِيه، والتوبة تَجبُّ ما قبلها.

■ سؤال: الذين يتركون البيع والشراء تورعًا؟

● **الجواب: لا وجه لهذا، فقد باع النبي واشترى عليه الصلاة والسلام، وباع الصحابة واشتروا وهم خير الناس.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأجاز ابن مسعود وسلمان، قالا: كُل منه وعليه التبعة، والناس طبقات، والدين: الحنيفِية السمحة.

---

(١) فقد روي عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قصة استقاءة أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أكل ممال غُلَامه الذي أعطيه ثمن تكهنه أخرج القصة البخاري فِي كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية برقم (٣٨٤٢).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

الناس طبقات، فِيهم الطيب والخبيث، فِيهم الصالح والطالح، فِيهم من يتهم ومن لا يتهم، المؤمن يتحرى الخير، وينصح لله ولعباده، ولا بأس أن يسأل عند وجود الريبة.

الأسئلة

■ سؤال: أحسن الله إليكم إذا كان يعرف أنه يتعامل بالربا، أو بيع آلات محرمة، أو عنده محل غناء، هل يتورع من الدخول عليه، أو يقال: اختلط ماله؟.

● **الجواب: الواجب أن يُنكر عليه، ويستحق الهجر، أقل شيء استحباب الهجر، حتى يتوب من أعماله السيئة، من ظاهره الفسق فيستحق أن يُهجر، واختلفوا فِي الوجوب، أمَّا كونه يستحق أن يهجر إذا كان الهجر ينفع، فإن كان الهجر لاينفع، فإنه يُوالى عليه النصح والتوجيه، والإنكار حتى يستقيم، وإذا اختلط الحلال بالحرام جاز لأهله؛ لأنهم لايعلمون أين الحرام.**

■ سؤال: لو صنع لي معروف هذا المجاهر بالمعصية هل أدعو له؟

● **الجواب: تكافئهُ على معروفه تدعو له بالهداية، والتوفِيق. تكافئ على معروفه.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال ابن خفيف]: وإن ممَّا نعتقد: أنَّ العبد ما دام أحكام الدار جاريةً عليه، فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل من ادَّعى الأمن، فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا كلام صحيح، فإنَّ العبد ما دامت أحكامُ العبادات والتكليف جارية عليه، فإن الواجب عليه أن يخاف ويرجو، وليس له أن يأمن، وليس له أن يقنط؛ بل يكون بين الرجاء والخوف ما دام عقله معه، ما دامت أحكام التكليف جارية، أمَّا إذا ذهب عقله هرم، يعني: خرف، أو جنَّ سقط عنه هذا؛ لكن ما دام عقله معه، فإن عليه أن يخاف، ويرجو، فليس له أن يقنط بسبب معاصيه، وليس له أن يأمن بسبب طاعته، ويعجب بنفسه، ويقول: إنه ناج؛ بل يخاف ويرجو يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، يسأل الله أن يتقبل منه، وأن يعيذه من غضبه، وأسبابُ العذاب، ويرجو رحمة ربه جلَّ وعلا، هذا هو الواجب على المؤمن؛ ولهذا حكى الله جلَّ وعلا عن أهل الخير من الأنبياء والصالحين قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال في أهل الإصلاح: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] فهكذا الرسل وأتباعهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد أفردت كشف عورات من قال: بذلك.

ونعتقد أنَّ العبودية لاتسقط عن العبد ما عقل، وعلم ما له، وما عليه، فَيبقى مميز على أحكام القوة والاستطاعة، إذْ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج عن رقِّ العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الآخرية، فهو كافرٌ لا محالة، إلا من اعتراه علة، أو رأفة فصار معتوهاً، أو مجنوناً، أو مُبرسماً[1] وقد اختلط فِي عقله، أو لحقهُ غشيةٌ، يرتفع عنه أحكام العقل، وذهب عنه التمييز، والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا الذي قاله ابن خفِيف صحيح، صحيح أيضًا، قاله أهل العلم، من زعم أنه بعلمه أو بدرجة من العلم، أو بمنزلة من العلم، أو بوصفٍ يتصف به من العلم يخرج عن التكليف ويبقى حرًا، له أن يفعل ما شاء لا يصلي، ولا يصوم، وله أن يزني، وله أن يفعل كل شيء، هذا ملحد فِي الدين زنديق كافر بالله، بإجماع المسلمين نعوذ بالله؛ لأن المؤمن ليس لعمله أجلٌ إلَّا الموت، إلا إذا اختل عقله، قال سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ وأفضل الخلق: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

فلا بدَّ من العمل حتى يأتي الموت ولا يسقط التكليف عن أحد

---

(١) قال فِي القاموس المحيط فِي مادة: [برسم] البِرْسامُ بالكسر: عِلَّةٌ يُهْذَى فِيها (ص٩٩٧)، باب الميم فصل الباء، وجاء في اللسان علة نصيب الرأس (١٢/٤٦).

من الناس؛ لأنه بلغ من العلم كذا، أو من العبادة كذا، أو من العمر كذا لا، إلا إذا سقط التكليف، إذا جنَّ أو خرف تغيَّر عقله، فسقط التكليف حينئذ، وأمَّا أنه فِي منزلة من العلم، كما يقولُ: بعض الصوفِية يسقط عنهم التكاليف، فلهم أن يفعلوا ما يشاؤون من المعاصي، ولهم أن يدعو الصلوات، والصيام، هذا جنون، هذا بلاء، هذا من الكفر البواح، والعياذ بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن زعم الإشراف على الخلق: يعلمُ مقاماتهم ومقدارهم عند اللّه بغير الوحي المنزل من قول رسول ﷺ، فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهُمْ، و على ماذا يموتون عليه ويختم لهم، بغير الوحي من قول الله، وقول رسوله ﷺ فقد باء بغضب من الله.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا حق، مثل ما قال المؤلف، من زعم أنه يشرفُ على أمور الخلق ومقاماتهم، ويعرف منازلهم عند الله، بغير الوحي، فهذا ضالٌ مضلٌ كافر ملحدٌ، يدعي علم الغيب، هكذا من يزعم أنه يعلم أمور الناس، ومتى يموتون، ومتى يبعثون، كل هذا ردة عن الإسلام ؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ويقول جلَّ وعلا لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف:١٨٨] ثم قال: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فمن زعم أن له إشرافاً على الخلق، وأنه موكل بالخلق، أو أنه يعلم أحوالهم وأوقات موتهم، ونهاية آجالهم، وأنه يعلم مصيرهم عند الله، ومنازلهم، هذا

إمَّا مجنون من المجانين والمعاتيه، وإمَّا زنديق مرتد كافر، نسألُ الله العافِية، المستعان لاحول ولاقوة إلَّا بالله هذه غرائب عند جمع من الصوفية يقع فِي هذه البلاوي والمحن، نسأل الله العافية.

■ سؤال: هو مرتد؟.

● **الجواب: نعم، نعم إذا كان يدعي الإسلام فهو مرتد.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

[واعلم أن فيه] والفراسة حق على أصول ما ذكرناه، وليس ذلك ممّا رسمْنَاه فِي شيء.

ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته، ويشيرُ في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفِيق والهداية، وأشار إلى صفاته عزَّ وجلَّ القديمة، فهو حلولي قائل باللاهوتية، والالتحام، وذلك كفرٌ لا محالة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هي عبارة مجملة، كأنه يشير بهذا أن صفاته كصفاته، أي: كصفات المخلوقين أو أنها متصفة بصفات المخلوقين، أي: أن الخالق حَلَّ فِي المخلوق هذا لاشك أنه إلحاد وزندقة نعوذ بالله، العبارة فِيها بعض القلق.

المقصود: من هذا كله بيان أن صفات الرَّب غير صفات المخلوقين، وأن اللَه سبحانه بصفاته بائنٌ من خلقه مستقلٌ عن خلقه فوق عرشه فوق جميع الخلق، لا تشبه صفاته صفات خلقه؛ بل هو سبحانه الكامل فِي ذاته، وفِي جميع صفاته، منزه عن مشابهة المخلوقين فِي كل شيء، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]

وإنَّما ذكرت الإشارة فِي بعض الأحاديث إلى الصفة من باب التحقيق، كما ذكر عن ذكر: «**يَضَعُ السَّمَاوَات عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ**»(١) ويشير إلى أصابعه، يعني: من باب التحقيق، أنها أصابع حقيقية، وهكذا الإشارة إلى العين، وإلى السمع، المراد: إثبات أنه حق، وأنه سمع حقيقة، وبصر حقيقة، وأصبع حقيقة ويد حقيقة، وليس المراد التشبيه والتمثيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة، ومن قال: أنها غير مخلوقة، **فقد** ضاهى قول النصارى النسطورية في المسيح، **ذلك** كفر بالله العظيم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وذلك لأن الأرواح جملة من خلق الله خلقها، سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرّعد: ١٦،الزمر: ٦٢] فأرواح الحيوانات، وأرواح بني آدم، وأرواح الجن جميع الأرواح كلها مخلوقة لله مربوبة، تُنعَّم وَتُعَذَّب يُصيبها ما يصيب غيرها، والله خالقها سبحانه وتعالى، أرواح الأخيار، وأرواح الأشرار أرواح العقلاء، وأرواح البهائم، كلها مخلوقة لله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن قال: إنَّ شيئًا من صفات اللّه عزَّ وجلَّ حالٌّ فِي العبد، أو قال بالتبعيض على اللّه، فقدْ كفرَ.

---

(١) سبق تخريجه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

ليس فِي المخلوقات شيء من ذات الله؛ بل الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته مستقل بائن من خلقه جلَّ وعلا، ليس فِي ذاته شيء من خلقه، وليس فِي خلقه شيء من ذاته جلَّ وعلا؛ ولهذا قال عبدالله بن المبارك: «نَعْرِفُ رَبَّنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن: كلام الله ليس بمخلوق، ولا حالٍ فِي مخلوق، وأنه كيفما تلي وقُرئ وحُفظ، فهو صفة الله عزَّ وجلَّ، وليس الدرس من المدروس، ولا التلاوة من المتلوا؛ لأنه عزَّ وجلَّ بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك، فهو كافر.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: أن القرآن هو كلام الله، وإن كان فِي الصدور، حالًا فِي الصدور من جهة الحفظ، فليس هو كلام المخلوقين، فإن المخلوق ينقل ويتلوه على أنه كلام الله، يحفظه على أنه كلام الله، يكتبه على أنه كلام الله، يسمعه على أنه كلام الله، فكيفما تصرف فهو كلام الله عزَّ وجلَّ، مقروءً محفوظًا مكتوبًا مسموعًا، هو كلام الله بجميع النواحي أنزله على نبيه ﷺ.

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية برقم (٦٧، ١٦٢) (ص٤٧، ٩٨)، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة برقم (١٧٥) (ص١٨٩)، والذهبي في مختصر العلو (ص٧٥)، والبيهقي فِي الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٥) برقم (٢٩٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ونعتقد أنَّ القراءة المُلحَّنةَ بدعة وضلالة، وأن القصائدَ بدعة، ومجراها على قسمين:

فالحسنُ من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه، وإظهارِ نعت الصالحين، وصفةِ المتقين، فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله، والقرآن، والعلم أولى به، وما جرى على وصف المرئيات، ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر، واستماع الغناء، والربعيات[1] على الله كفر والرقص بالإيقاع، ونعت الرَّقاصين على أحكام الدِّين فسقٌ، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب، وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة، الجائي بين أهل الأطباع، على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك، وما لا يليق به عزَّ وجلَّ ممَّا هو منزهٌ عنه، فيكونُ استماعه، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر: ١٨] الآية.

وكلُّ من جهل ذلك، وقصد استماعه على الله على غير تفصيله، فهو كُفْرٌ لا محالة، فكلُّ من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغيرُ جائزٍ إلا لمن عُرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به عزَّ وجلَّ ممَّا ليس للمخلوقين فِيه نعت ولا وصف؛ بل ترك ذلك أولى وأحوط، والأصل فِي ذلك أنَّها بدعة، والفتنة فِيها غير مأمونة

---

(١) الرباعيات: هي منظومة شعرية تتألف من وحدات كل وحدة منها أربعة أسطر تستقل بقافية ينظر: والفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق الشيخ الدكتور/ حمد بن عبدالله التويجري (ص ٤٥٢).

على استماع الغناء والربعيات، بدعة، وذلك مما أنكره المطلبي، ومالك، والثوري، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وإسحاق.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المطلبي، يعني: الشافعي رحمه الله؛ لأنه من بني المطلب، وهذه العبارات فِيها بعض الإجمالات، ومراده أن التلحين فِي القرآن، والتمغيط، والزيادة فِي الكلام لا يجوز؛ لأنه يخرج القرآن عن موضعه، وإنما المشروع الترتيل والعناية بإعطاء الحروف حقها،أمَّا التلحين الذي يُخرج القرآن عن موضعه لزيادات كثيرة أو تشبيه بالأغاني، وتضييع أوقات الناس فِي غير طائل، هذا ممنوع.

كذلك ما يتعلق في التعبد بالأغاني، وما أحدثه الصوفِية من ربعيات فِي أشعارهم، وغير ذلك، إن كان ذلك على وجه التعبد ذكر المؤلف رحمه الله أنه كفر؛ لأنه استحلالُ لما حرَّم الله من البدع المنكرة التي أجمع العلماء على إنكارها، وكل من استحل ما حرَّم الله ممَّا أجمع عليه المسلمون كاستحلال الزنا، والخمر يكون كفرًا أكبرًا، نسأل الله العافِية.

والتعبد: بهذه البدع، من البدع أيضًا التعبد بالرقصات والأغاني فِي مدح فلان، وفلان ومدح النساء أو غير ذلك، هذا أيضًا من البدع، وهو من المنكر، أمَّا الأشعار التي فِي مدح الخير والدعوة إلى الخير على لحون العرب وعلى طريقة العرب، هذا لا بأس به، كما أنشد حسان الرسول ﷺ فِي هجي المشركين، وكما أنشده كعب بن مالك، وابن رواحة، فالأشعار التي بعيدة عن الشر لا بأس بها، فالشعر حسنه حسن، وقبيحه قبيح، والمراد: بهذا التفصيل فِي هذه الأمور، وإن كانت عبارته فِيها بعض الإجمال؛ لكن مراده التفصيل فِي هذه الأمور رحمه الله.

الأسئلة

■ سؤال: الأبيات المشهورة الربعيات ما المقصود بها؟

● **الجواب: ـ الربعيات ـ أبيات كانت عند الصوفِية، يعني: على نمط أربعة، فواصل، رباعية ما هي ثنائية، ولا ثلاثية؟ كأنها أربعة، يعني: كل شطر مستقل حتى ترى كل بيت، على أربعة أقسام، كأنه يريدُ هذا، والله أعلم.**

■ سؤال: الاستشهادُ بالشعر فِي الخطبة ؟.

● **الجواب: ما فِيه مانع إذا كان شعرًا شرعيًّا سليمًا ما فيه شيء، «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»[1] .**

■ سؤال: التلحين فِي الأذان؟.

● **الجواب: ما ينبغي، ينبغي أن يكون سمحًا فِي الأذان لايطول لايمغط.**

■ سؤال: يا شيخ استشهاد بعض النُّحاة ببعض الأبيات الرديئة ؟.

● **الجواب: إذا كان عن العرب مقصودهُ النحو فقط؟ لا يضر من باب الفائدة من جهة القواعد العربية مع التنبيه على ما فِيها من الخطأ.**

---

(١) وردت هذه الصيغة فِي أكثر من حديث منها عن أبي بن كعب رضي الله عنه أخرجه البخاري فِي كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره برقم (٦١٤٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون فِي الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئًا، يقالُ: له القصائد، فقال مثل أيش؟ قال: مثل قوله:

اصبريْ يا نفسُ حتى تسكنيْ دارَ الجليل

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت: ببغداد، فقال: كذبوا، والله الذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك.

قال أبو عبدالله: وممَّا نقول: وهو قول أئمتنا: إنَّ الفقير إذا احتاج وصبر، ولم يتكفف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى، فمن عجز عن الصبر كان السؤالُ أولى به على قوله ﷺ: «**لأَن يَأخُذَ أَحَدُكُمْ حَبلَهُ**» الحديث[1].

ونقول: إنَّ ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عمَّا فِي أيدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة، وهو صحيحٌ، فهو مذموم فِي الحقيقة خارجٌ.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري فِي كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٧٠)، ومسلم فِي كتاب الزكاة باب كراهية المسألة للناس برقم (١٠٤٢).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا هو الحقُّ، فإنَّ المؤمن مأمور بالعمل والكسب، مثل ما قال النبي ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[(١)] وقال: «**لأَن يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيأتِي بِحُزْمَةِ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ بِهَا وَجْهَهُ خَيرٌ لَهُ مِنْ سُؤَالِ النَّاسِ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوه**»[(٢)].

ولما سئل أي الكسب أطيب؟ قال ﷺ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُور**»[(٣)]، وقال: «**مَا أَكلَ أَحَدٌ طَعَامًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» وقال: «**وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» رواه البخاري[(٤)].

فلا ينبغي له ترك العمل؛ بل ينبغي له أن يتسبب ويعمل، ولا يسأل الناس، فسؤال الناس مذموم إلا عند الضرورة، وإذا تعفف وصبر على القليل، ولم يسأل الناس كان أفضل إلا أن تدعوه الضرورة إلى ذلك؛ ولهذا جاء في حديث سمرة: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لا بُدَّ مِنْهُ**» أخرجه الترمذي[(٥)] وصححه جماعة.

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه في كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم (٢٦٦٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) روي هذا اللفظ عن عدد من الصحابة منهم رافع بن خديج رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد في المسند(٤/ ١٤١) والطبراني في المعجم الكبير برقم ٤٤١١ (٤/ ٢٧٦) وصححه الحاكم في المستدرك في كتاب البيوع برقم (٢١٦٠) .

(٤) أخرجه من حديث المقدام رضي الله عنه في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده برقم (٢٠٧٢).

(٥) الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة برقم (٦٨١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فالحاصل أنه ينبغي له العمل والكسب، وطلب الحلال حتى يستغني عن الناس، فإذا اضْطُرَّ إلى السؤال، فلا بأس بقدر الحاجة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ونقول: إنَّ المستمع إلى الغناء والملاهي، فإنَّ ذلك كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «الغِنَاء يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»[(١)]، وإن لم يكفر، فهو فسقٌ لا محالة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

المعنى فِي هذا أن استماع الأغاني، وآلات الملاهي من الفسق، ومن المعاصي، ومن أسباب مرض القلب والنفاق، وأمَّا نسبة هذا إلى النبي ﷺ هذا وَهْمٌ، المعروف أنه من كلام ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ ولكن المؤلف كأنه غفل عن ذلك؛ ولهذا نسبه إلى النبي ﷺ، والمعروف أنه من كلام ابن مسعود، قال: «الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي القَلبِ كَمَا يُنْبِتُ المَاءَ البَقْلَ»[(٢)].

الأسئلة

■ سؤال: من كلام ابن مسعود الغناء وآلات الملاهي أنها طريق يؤدي إلى الكفر؟

---

(١) روي هذا اللفظ عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وموقوفًا أخرج المرفوع أبو داود فِي كتاب الأدب، باب كراهية الغناء والزمر برقم ٤٩٢٧ والبيهقي فِي السنن الكبير فِي كتاب الشهادات، برقم ٢٠٧٩٧(١٠/ ٢٢٣) كما رواه موقوفًا عليه برقم ٢٠٧٩٦، ٢٠٦٩٥، وذكر المناوي فِي فِيض القدير(٤/ ١٤١٣) عن العراقي أن رفعه غير صحيح، وأن الموقوف أصح من المرفوع، كما سيأتي فِي تعليق سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) سبق تخريجه.

● **الجواب: يعني: وسيلة، مثل ما فِي أثر ابن مسعود ينبت النفاق فِي القلب المعاصي بريد الكفر مثل ما أن المرض بريد الموت، قد تجره المعاصي إلى الوقوع فِي الكفر نعوذ بالله، ومنها الغناء والملاهي؛ قد يستردها حتى توقعه فِي الكفر، نسأل الله العافِية.**

■ سؤال: المؤلف ما تعقب هذه النقول ولو فِي بعض كتبه؟

● **الجواب: تساهل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما علق عليه عندك؟**

■ القارئ: لا ما علق!!

● **الجواب: يعلق عليه هذا الأثر المعروف عنه أنه من كلام ابن مسعود موقوفًا، ويحتمل أن المؤلف حين كتبها أراد أن يعلق، ويكتب شيئاً ولم يكتب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نسي، لأن النقل طال عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو يأتي شيءٌ في الآخر.**

■ سؤال: استماع الأغاني حرام؟

● **الجواب: نعم. الأغاني، والملاهي من أقبح السيئات، ومن وسائل الشر.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والذي نختار: قول أئمتنا: ترك المراء فِي الدين، والكلام فِي الإيمان مخلوقٌ أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول ﷺ واسطةٌ يؤدي، وأنَّ المرسل إليهم أفضل، فهو كافر بالله.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا لا شك تنقص ظاهر، أن يقول: المرسَل إليه أفضل من الرسول هذا كلام، لا يقوله عاقل.

الأسئلة

■ سؤال : هل يقول أحد بهذا؟

● **الجواب: ما بلغنا عن أحد، أنه قال: هذا لعله قاله بعض الصوفِية.**

■ سؤال : واسطة يودي بس؟

● **الجواب: يؤدي بس فقط؟ يعني: مهمته أنه يؤدي فقط لا فضل له، عليهم.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفراهـ .

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا واضح قول الإنسان أنه يأخذ دينه عن رأيه، وعن قلبه، هذا ردة عن الإسلام، فلا دين إلا ما جاء عن الله، وعن رسوله، نسأل الله السلامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ومن متأخريهم: الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني، قال: فِي كتاب «الغُنية» أمَّا معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحدٌ أحدٌ إلى أن قال: وهو بجهة العلوِّ، مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك محيطٌ علمه بالأشياء.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا علم وفقه عظيم، فرق بين هذا، وهذا، فهو مستوٍ على العرش ومحيط بكل شيء، محتوٍ على كل شيء، يعني: هو مالك لكل شيء، والاستواء غير الاستيلاء وغير الملك، بيَّن مذهب أهل السنة والجماعة فِي هذا، وأن الاستواء غير الاستيلاء، وغير الملك، وغير إحاطة العلم، هذا هو الحق ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: علا فوق العرش، وارتفع فوق العرش سبحانه وتعالى على وجه يليق بجلاله، لا يشابه خلقه فِي استوائهم، وهو غير الاستيلاء، وغير الملك، وغير الإحاطة بالعلم، وعلمه محيط بكل شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] ولا يجوز وصفهُ بأنه فِي كُلِّ مكان؛ بل يُقالُ: إنه فِي السماء على العرش، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وذكر آيات وأحاديث.

إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، قال: وكونه على العرش: مذكور فِي كل كتاب أُنزل على كل نبي أرسل بلا كيف، وذكر كلامًا طويلًا لا يحتمله هذا الموضع، وذكر فِي سائر الصفات نحو هذا.

ولو ذكرتُ ما قالهُ العلماء فِي هذا لطال الكتابُ جدًا.

قال أبو عمر بن عبد البر: رَوِّينا عن مالك بن أنس، وسفْيان

الثوري، وسفْيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمر بن راشد فِي أحاديث الصفات أنهم كلهم، قالوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ(١).

قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن أصحابه ﷺ، فهو علمٌ يُدان به، وما أُحْدِثَ بعدهم، ولم يكن له أصل فِيما جاء عنهم، فهو بدعة وضلالة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

سأل سماحة الشيخ القارئ قائلا: ما اسم ابن عبدالبر؟ ومتى وفاته؟

فأجاب القارئ: ما ذكر شيء؟

فرد الشيخ: أقول أنت أسألك؟ اسمه، ووفاته؟.

مداخلة: هو يوسف بن عمر يا شيخ، وفاته سنة [٤٦٣هـ].

الشيخ: صحيح، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر رحمه الله، ولد سنة [٣٦٧هـ] ومات سنة [٤٦٣هـ] وكانت المدة ستاً وتسعين سنة رحمه الله عُمِّر، وصنَّف وألف كتبًا عظيمة(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال فِي «شرح الموطأ» لمَّا تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت النقل، صحيح من جهة الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث فِي صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العدول عن النبي ﷺ وفِيه دليل على أن الله فِي السماء على العرش استوى من

---

(١) ينظر/ التمهيد له (٧/ ١٤٩).

(٢) ينظر لترجمته وفِيات الأعيان لابن خلكان (٧/ ٦٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ١٥٣).

فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة فِي قولهم: إن الله تعالى فِي كل مكان بذاته المقدسة.

قال: والدليل على صحة ما قال أهلُ الحقّ قول الله، وذكر بعض الآيات.

إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثرَ من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: ما قال لهم هذا زهداً، بل عرفوه بالفطرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضًا: أجمع علماءُ الصحابة والتابعين الّذين حُمل عنهم التأويلُ، قالوا فِي تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] هو على العرش وعلمه فِي كل مكان، وما خالفهم فِي ذلك من يحتج بقوله.

وقال أبو عمر أيضًا: أهل السنة مُجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كُلِّها فِي القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فِيه صفة محصورة.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هذا كلام عظيم كلامه رحمه الله كله عظيم كلام رزين قويٌ موافق للحق رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأمَّا أهل البدع: الجهمية، والمعتزلة، كُلها والخوارج: «فكلهم ينكرُونها، ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبِّه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتابُ الله، وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة» هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب.

وفِي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبِّه عنهم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

كلاهما فِي القرن الخامس رحمهما الله، وأخذا بعضًا من الرابع[(١)].

بسبب ميله إلى الأشعريين، حصل له من الأغلاط ما حصل، وابن عبد البر فِي هذا أعلم منه بمذهب أهل السنة، وأسلم منه وأكبر شأنًا، والبيهقي رحمه الله، له علم وله حفظ، وله دراية عظيمة؛ ولكنه وقعت له أغلاط فِي التأويل بسبب توليه الأشعريين من أصحاب أبي الحسن الأشعري، والله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال: ـ أي: البيهقي ـ فِي كتاب الأسماء والصفات: باب ما جاء فِي إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة؛ لورود خبر الصادق به،

---

(١) فالبيهقي ولِد سنة أربع وثمانين وثلاثمئة، وتوفِي سنة ثمان وخمسين وأربعمئة من الهجرة واسمه أحمد بن الحسين بن علي الشافعي ويكني بأبي بكر، ينظر: لترجمته تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١١٣٢) وشذرات الذهب لابن العماد (٣/ ٣٠٤).

قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

قوله: «الجارحة» هذه الزيادة مما دخلت عليه أيضًا.

الأسئلة

■ سؤال: قوله: من غير الجارحة؟

● **الجواب: هذا ما جاء فِي النصوص نفيها، ولا إثباتها، إثبات اليدين، وإثبات الصفات، من غير نفِي، ولا إثبات للجارحة نعم، الله المستعان.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وذكر الأحاديث الصحاح فِي هذا الباب، مثل قوله فِي غير حديث فِي حديث الشفاعة: «**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**»[(١)] ومثل قوله فِي الحديث المتفق عليه: «**أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ الأَلْوَاحَ بِيَدِهِ**» وفي لفظ: «**وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**»[(٢)]، ومثل ما في صحيح مسلم: «**وأَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَرَسَ كَرَامَةَ أَوْلِيَائِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ**»[(٣)]،

---

(١) حديث الشفاعة روي عن عدد من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه متفق عليه أخرجه البخاري فِي كتاب التوحيد باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] برقم (٧٥١٦)، واللفظ له، ومسلم فِي كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة برقم (١٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه بمعناه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة برقم (١٨٩).

ومثل قوله ﷺ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ»(١).

وذكر أحاديث مثل قوله: «بِيَدِيَ الأَمْرُ»(٢)، «وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»(٣) «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ»(٤) «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ»(٥)، وقوله: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»(٦)، وقوله: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الرقائق باب يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم (٦٥٢٠)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب نزل أهل الجنة برقم (٢٧٩٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] برقم (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها باب النهي عن سب الدهر برقم (٢٢٤٦)، ولفظه عنده «بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ».

(٣) أخرجه مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٧١).

(٤) الحلف بهذه الصيغة قد جاء عن النبي ﷺ رواها عنه عدد من الصحابية منهم أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب قبول هدية المشركين برقم (٢٦١٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه برقم (٢٤٦٩).

(٥) وتمامه: «حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في كتاب التوية باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٥٩).

(٦) وتمامه: «الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية برقم (١٨٢٧).

الْمُتَكَبِّرُونَ»[١].

وقوله: «**يَمِينَ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقِسْطُ وَيَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»[٢] وكل هذه الأحاديث في الصحاح.

وذكر أيضًا قوله: «**إِنَّ اللّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ، قَالَ لَهُ: وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ**»[٣]، وحديث: «**إِنَّ اللّهَ لَمَّا خَلَقَ آدم مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِيَدِهِ**»[٤] إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال البيهقي: أمَّا المتقدمون من هذه الأمة، فإنهم لم يفسروا ما كُتَبْنا من الآيات والأخبارِ فِي هذا الباب، وكذلك قال فِي الاستواء على العرش، وسائرِ الصفات الخبرية، مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صّ: ٧٥] يرقم (٧٤١٢)، ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار برقم (٢٧٨٨) واللفظ له.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺأخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صّ: ٧٥] يرقم (٧٤١١)، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ فِي أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة المعوذتين: باب [٩٤] برقم (٣٣٦٨)، وقال: هذا حسن غريب، وقد صححه الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الإيمان برقم (٢١٤) ووافقه الذهبي (١/ ٦٤).

(٤) جزء من حديث عمر بن الخطاب أخرجه أبو داود فِي كتاب السنة باب فِي القدر برقم (٤٧٠٣)، والترمذي فِي أبواب التفسير عن رسوا الله ﷺ باب ومن سورة الأعراف برقم (٣٠٧٥).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

لم يفسروا أي: لم يتأولوها؛ بل أمروها كما جاءت من غير تأويل مع الإيمان بها، وأنها حق، صفات لله جلَّ وعلا بلا كيف، كما قالوا: فِي الاستواء، وقالوا: فِي غير ذلك، هذا قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمتكلمين المتأولين.

البيهقي وقع له شيء من التأويل تبع فِيها الأشاعرة، وغلط فِيها رحمه الله، والذي عليه أهل السنة والجماعة، هو ترك التأويل والإيمان بجميع الصفات والأسماء الثابتة فِي القرآن الكريم، وفِي السنة المطهرة، إيمانًا ليس معه تأويل؛ بل يمرونها كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بمعناها، وأنها حق، وأنها صفات لله لائقة بالله سبحانه وتعالى، يد حقيقة، قدم حقيقة، سمع حقيقة، إلى غير ذلك؛ لكن لا يشابه خلقه فِي شيء من صفاته جلَّ وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] سبحانه وتعالى.

■ سؤال: يا شيخ أين وقع للبيهقي بعض الأخطاء فِي الصفات فِي أي: كتاب؟

● **الجواب: فِي كتاب الاعتقاد، وفِي غيره رحمه الله.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال القاضي أبو يعلى فِي كتاب «إبطال التأويل»: لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفاتُ الله، لا تشبهُ صفات سائر الموصوفِين بها من الخلق، ولا يعتقدُ التشبيه فِيها؛ لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري، ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والليث، وحمَّاد بن زيد، وحمَّاد بن سَلَمة، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكيع، وعبدالرحمن بن مهدي، والأسود بن سالم، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري، وغيرهم فِي هذا الباب، وفِي حكاية ألفاظهم طول.

إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق إليه، لما فِيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم، صاحب الطريقة المنسوبة إليه فِي الكلام، فِي كتابه الذي صنَّفه فِي «اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين» وذكر فرق الروافض، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة وغيرهم.

ثم قال: مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون شيئًا من ذلك، وأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبةً، ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فِيها، وأن الله يبعث من فِي القبور، وأن الله على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وأن له

وجهًا كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧].

وأنَّ أسماء اللَّهِ تعالى لا يقال: إنها غيرُ اللّه كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله علمًا، كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٦٦] وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فَاطِر: ١١] وأثبتوا له السمع، والبصر، ولم ينفوا ذلك عن اللّهِ، كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لِلَّه القوة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت: ١٥] وذكر مذهبهم فِي القدر .. إلى أن قال: ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام فِي اللفظ والوقف، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: لأجل الإيهام، والتوقف من كلام أهل البدع، فالقرآن كلام الله، وليس بمخلوق منه بدأ وإليه يعود، وقول السلف: لا يُقال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ ولا لفظي بالقرآن غير مخلوق لأن فِيه إجمالًا، فإن أراد باللفظ الصوت، فهو مخلوق، وإن أراد باللفظ الملفوظ به وهو القرآن فهو غير مخلوق، وهو كلام الله عزَّ وجلَّ، فلهذا أنكروا هذا، وهذا لئلا يتخذ وسيلة على رأي الجهمية والمعتزلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قال أبو الحسن الأشعري] ويقرون: أنَّ اللهَ يُرى بالأبصار يوم القيامة، كما يُرى القمرَ ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن اللّهِ محجوبون، قال عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وذكر قولهم فِي الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء.

إلى أن قال: ويقرون: بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار.

إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء فِي الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الرواياتِ الصحيحة، كما جاءت بها الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدلٌ عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ لا يقولون: كيف؟ ولا لم؟ لأنَّ ذلك بدعة عندهم.

إلى أن قال: ويُقرون أنّ اللّه يجيءُ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأن الله يقْرُبُ من خلقه كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

إلى أن قال: ويرون مُجانبة كلِّ داعٍ إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر فِي الفقه مع الاستكانة، والتواضع وحسنُ الخُلق، مع بذل المعروف، وكفَّ الأذى، وترك الغيبة والنميمة، والشكاية، وتفقدَّ المآكل والمشارب.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وتفقد المآكل والمشارب عن الحرام، يعني: يتحرزون من الحرام، ويجتهدون فِي طلب الحلال، هكذا قول أهل السنة والجماعة، يتركون الجدل والمراء إلا بحقٍّ، كما قال ﷻ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] نعم الله أكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال: فهذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه، ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول: وإليه نذهب وما توفِيقنا إلا بالله، وهو المستعان.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

رحمه الله قد أحسن فِي ذلك رحمه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال الأشعري أيضًا: فِي اختلاف أهل القبلة فِي العرش فقال: قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنَّه استوى على العرش، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ولا نتقدم بين يدي الله فِي القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف، وأنَّ له وجهًا، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] وأن له يدين، كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صَ: ٧٥] وأنَّ له عينين، كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤] وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفَجر: ٢٢]، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء فِي الحديث، ولم يقولوا شيئًا إلَّا ما وجدوه فِي الكتاب، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى: استولى، وذكر مقالات أخرى.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

ما تقدَّم من الكلام الذي نقله عن أهل السنة والحديث «إنه ليس بجسم» محل نظر، قد أنكره أبو العباس فِي كتابه «التدمرية» وفِي مواضع أخرى، وبيَّن أن أهل السنة والجماعة: لا ينفون الجسم، ولا يثبتونه لعدم وروده، فلا يقال: هو جسم، وليس بجسم؛ لأن هذه الكلمة محتملة، فِيها إجمال، وإنما يقولون: ما جاءت به النصوص، فيقولون: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

وهكذا ما جاءت به النصوص، أمَّا هو جسم، أو ليس بجسم، هذا لم ترد به النصوص؟! فلا يجوز نفيه ولا إثباته، ومرادهم من نفي الجسم، أي يعني: كالأجسام، كما أنه له ذاتاً؛ لكن ليست مثل الذوات، فله ذات حقيقة، وسمع حقيقة، وبصر حقيقة؛ ولكن ليس مثل ذوات المخلوقين، وأمَّا نفي الجسم، وإثبات الجسم لم ترد به النصوص، ومن أثبته، وقال: هو جسم لا كالأجسام، له سمع، وبصر ونحو ذلك، هو حقيقة، ومن نفاه وأنه ليس له ذات هذا كفر وضلال إذا أراد به هذا المعنى.

فلهذا الصواب: أنه لا ينفى ولا يثبت، لا يقال: ليس بجسم، ولا هو جسم، لعدم وروده فِي الأدلة؛ لأنَّ الأدلة لم ترد بهذا اللفظ، ولم ينطق به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، فِينطق بما جاء به النصوص، ويكتفى بذلك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

وقد جاء فِي الحديث الصحيح: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ» فِي حديث شعر خبيب[(١)].

وجاء فِي حديث كذبات إبراهيم «كُلُهُنَّ فِي ذَاتِ اللّهِ»[(٢)] فله ذات، لا تشبه الذوات سبحانه وتعالى، ذات موصوفة بالسمع، والبصر، والوجه واليد، وغير ذلك، على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى.

■ سـؤال: أحسن الله إليكم، وأن له عينين؟

● **الجواب: كما جاء فِي النصوص؛ لأنه أخبر فِي كتابه العظيم** ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] **وجاء فِي السنة ما يبيّن ذلك قال: «إِنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ»[(٣)] كما جاء فِي الصحيحين، هذا إثبات للعينين، وأنهما عينان سليمتان، ليس كالدجال.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

وقال أيضاً: أبو الحسن الأشعري فِي كتابه الذي سماه «الإبانة فِي أصول الديانة» وقد ذكر أصحابهُ أنه آخرُ كتاب صنفهُ، وعليه يعتمدون

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فِي كتاب التوحيد باب ما يذكر فِي الذات والنعوت وأسامي الله برقم (٧٤٠٢).

(٢) وقد ذكرت الكذبات الثلاث فِي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه أخرجه البخاري فِي كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] برقم (٣٣٥٧)، (٣٣٥٨)، ومسلم فِي كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام برقم (٢٣٧١).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري فِي كتاب، باب قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] برقم (٣٤٣٩)، ومسلم فِي كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم المسيح الدجال برقم (١٦٩).

فِي الذَّب عنه عند من يطعن عليه، فقال: (فصل فِي إبانة قول أهل الحق والسنة) فإن قال: قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول: به أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون: ولما خالف قولهُ مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحقَّ، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشَّاكِّين، فرحمة اللَّه عليه من إمام مقَدم، وجليل معظَّم، وكبير مفهَّم.

وجملة قولنا: أنا نقر باللّهِ، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول اللَّه ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأنَّ اللّه واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقِّ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] وأنَّ الجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فِيها، وأنَّ اللَّهَ يبعث من فِي القبور.

وأنَّ اللّهَ مستو على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وأن له وجهًا، كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، وأنَّ له يدَين بلا كيف، كما قال تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وأنَّ له عينين بلا

كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤].

وأنَّ مَنْ زعم أنَّ أسماء اللّهِ غيره كان ضالًا.. وذكر نحوًا مما ذكر فِي الفرق. إلى أن قال: ونقول: إنَّ الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانًا، ونَدين بأنَّ اللّهَ يقلِّب القلوب بين أُصبعين من أصابع الله عزَّ وجلَّ، وأنَّه عزَّ وجلَّ يضع السَّموات على أصبع، والأرضين على أصبع، كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: من يوم القيامة، والماء والثرى على إصبع، والشجر والجبال وسائر خلقه على إصبع، ثم يهزهن، «فيقول: **أَنَا المَلِكُ، أَنَا الجَبَّارُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟**» كما ثبت فِي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

إلى أن قال: والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول اللّه ﷺ التي رواها الثقات عدلًا عن عدلٍ حتى ينتهي إلى رسول اللّه ﷺ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، الإيمان: قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يزداد بالطاعات والذكر، وينقص بالمعصية والغفلة، ويرد

(١) سبق تخريجه

بهذا على المعتزلة، والجهمية، والخوارج، الذين يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ويقول: بعضهم كالجهمية: أنَّه مجرد المعرفة.

فأهل السنة والجماعة وسط بين هذه الطوائف الضالة، فهم يقولون: إن الإيمان: قول وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأمَّا قول الخوارج إنه لا يزيد ولا ينقص، وأن من عصى كفر، فهم ضالون فِي هذا القول، وهكذا المعتزلة، نسأل الله العافِية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأنَّ الرَّب عَزَّ وَجَلَّ، يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافًا لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوِّلُ فِيما اختلفنا فِيه إلى كتاب ربِّنا وسنَّة نبينا، وإجماع المسلمين، وما كان فِي معناه، ولا نبتدع فِي دين اللّهِ ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على اللّهِ ما لا نعلم، ونقول: إنَّ اللّهَ يجيء يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وأنَّ اللّهَ يقْرُبُ من عباده كيف شاء كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النّجم: ٨-٩].

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هذه الآية، الصواب: فِيها أنه جبرائيل عليه الصلاة والسلام الآية الأخيرة آية النجم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: ٨] الصواب: فِيها أنه جبرائيل عليه الصلاة والسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا، وما بقي مما لم نذكره بابًا، بابًا، ثم تكلَّم على أنَّ اللّهَ يُرى، واستدل على ذلك.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: يرى فِي الآخرة يوم القيامة، وفِي الجنَّةِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ثم تكلم على أنَّ القرآن غير مخلوق، واستدل على ذلك، ثم تكلَّم على من وقف فِي القرآن، وقال: لا أقول: إنه مخلوق، ولا غير مخلوق وردَّ عليه.

ثم قال: «باب ذكر الاستواء على العرش».

فقال: إن قال: قائل: ما تقولون فِي الاستواء؟ قيل له: نقول: إنَّ اللّهَ مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] كذَّب موسى فِي قوله: إنَّ اللّهَ فوق السماوات، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [المُلك: ١٦]، فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرشُ فوق السماوات قال: ﴿أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات، وكل ما علا، فهو سماء، فالعرش

أعلى السماوات وليس إذا قال: ﴿أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات ألا ترى أن الله عز وجلَّ ذكر السماوات، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] ولم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فِيهن جميعًا.

ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأنَّ اللّهَ على عرشه الذي هو فوق السماوات، فلولا أنَّ الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا يبيِّن لنا أنَّ قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: على السماء؛ لأن (فِي) تفِيد معنى العلو كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ المراد بالسماء العلو، ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، والعرش فوق السماوات، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلك: ١٦] يعني: فِي العلو، ومن العلو العرش، فهو من العلو.

والمعنى الثاني: أنَّ (فِي) بمعنى: (على) إذا أريد بالسماء السماء المبنية القائمة، يعني: من على السماء، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] يعني: على الأرض ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يعني: على جذوع النخل.

فالآية فسرت بهذا، وهذا، فإذا فسرت (في) بمعنى: (على) فالمراد منه فوق السماوات، فوق العرش جلَّ وعلا، وإذا فسرت السماء بمعنى العلو فهي على أصلها ظرفِية، (في السماء) أي: فِي العلو، والله جلَّ وعلا فوق العرش، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي جاءت به الرسل، وهو قول أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان أنَّ اللّهَ فِي

السماء فِي العلو فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى.

وهكذا أخبر اللّهُ عن موسى أنه بلغ فرعون أوغيره أنَّ اللّهَ فِي السماء، ولهذا قال فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غَافر: ٣٦-٣٧]، هذا يبيِّن أنَّ موسى بيَّن له أنَّ الله فِي العلو، وأنه فوق؛ فلهذا قال الخبيث ما قال.

فالرسل جاءوا بأنَّ اللّهَ فِي السماء وفِي العلو، وهو يدعي من أعلى، وترفع الأيدي له سبحانه وتعالى طلبًا للمغفرة والعفو وللحاجات التي يطلبها الإنسان وهكذا قوله سبحانه ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر:١٠] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨] ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعَارج: ٤] كل هذا يدل على العلو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية، والحرورية: إنَّ معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أنه استولى وملك وقهر، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ فِي كل مكان، وجحدوا أن يكون اللّهَ على عرشه، كما قال أهلُ الحقِّ، وذهبوا فِي الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروهُ كان لا فرق بين العرش، والأرض السابعة؛ لأن اللّهَ قادر على كل شيء، والأرض فاللّه قادر عليها وعلى الحشوش، وعلى كل ما فِي العالم، فلو كان اللّه مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء - وهو عزَّ وجلَّ مستول على الأشياء كلها - لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض وعلى السماء، وعلى الحشوش، وعلى الأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إنَّ اللّهَ مستوٍ على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء

على العرش بمعنى: الاستيلاء الذي هو عام فِي الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا قول أهل الحقِّ، وأنَّ قول من قال: استولى على العرش، أو قهر أو غلب عليه، قول باطل؛ لأنَّه مستولٍ على كل شي، وهو بيده كل شيء سبحانه وتعالى، وإنَّما هذه صفة العلو، صفة خاصة للعرش، وهو العلو فوقه والاستواء عليه، من اللّهِ سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل.

ثم قال: «باب الكلام فِي الوجه والعينين والبصر واليدين» وذكر الآيات فِي ذلك ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته: مثل قوله: فإن سُئلنا: أتقولون: للّهِ يدان؟.

قيل: نقول: ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدم بِيَدِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مَنْهُ ذُرِيَّتَهُ**»(١) وقد جاء فِي الخبر المذكور عن النبي ﷺ: «**أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمُ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّة عَدْنٍ بَيدِهِ، وَكَتَبَ التّوراةَ بِيَدَهَ، وَغَرَسَ شَجَرَةْ طُوبَى بِيَدِهِ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة في حديث طويل برقم (٥٦١) (٢/ ٨٢) من حديث وهبه بن منبه، وروى موقوفاً نحوه عن كعب الأحبار بلفظ: خلق آدم وكتابة التوراة وغرس طوبى شجرة في الجنة أخرجه الأجري في كتاب الشريعة (ص ٣٠٣).

وليس يجوز فِي لسان العرب ولا فِي عادة أهل الخطاب أن يقول: القائل: عملتُ كذا بيديَّ، ويريد بها النِّعمة، وإذا كان اللّه إنَّما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهومًا فِي كلامها، ومعقولًا فِي خطابها، وكان لا يجوز فِي خطاب أهل البيان أنَّ يقولَ: القائل: فعلتُ كذا بيدَيَّ، ويعني: بها النِّعمة، بطل أنْ يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النِّعمة.

وذكر كلامًا طويلًا فِي تقرير هذا ونحوه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: يرد على أهل التأويل من أهل الكلام الَّذين يُأَوِّلُون اليد بالقدرة أو بالنِّعمة، وأن هذا باطل غير معروف عند العرب، إذا قالت العرب: فعلتُ بِيَدَيَّ هذا، تريد أنَّها باشرت الأشياء، والله خاطب العرب بما يعقلون ويفهمون؛ فلهذا قال سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] إلى غير ذلك من النصوص الدَّالة على إثبات اليدين له سبحانه، على الوجه اللائق به من غير مشابهة لخلقه سبحانه وتعالى، وهكذا بقية الصفات: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ»(١) إلى غير هذا، كل هذا على الطريقة المعروفة، وهي إمرارها، كما جاءت مع الإيمان بأنَّها حقّ، وأنَّها أوصاف للّهِ تليق به سبحانه وتعالى لا يشابه فِيهَا خلقه جلَّ وعلا.

---

(١) سبق تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال القاضي أبو بكر: محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله، ولا بعده قال فِي كتاب «الإبانة» تصنيفه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

سأل الشيخ :فِي كتاب الإبانة؟

فأجاب القارئ: إي: نعم.

قال الشيخ: تصنيفه؟.

فأجاب القارئ: نعم تصنيفه.

قال الشيخ: موجود هذه الإبانة لأبي بكر بن الطيب الباقلاني، الإبانة المعروفة الآن للأشعري؟! أبو بكر الباقلاني مات سنة أربع مئة وثلاثة فِي أول القرن الخامس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال: فما الدليل على أنَّ لِلَّهِ وجهًا ويدًا ؟ قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] فأثبت لنفسه وجهاً ويداً.

فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهًا ويدًا إلَّا جارحة؟.

قلنا: لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيًّا عالـمًا قادرًا إلَّا جسمًا أن نقضي نحن وأنتم بذلك على اللَّهِ سبحانه، وكما لا يجب فِي كل

شيء كان قائمًا بذاته أن يكون جوهرًا، لأنا وإيَّاكم لم نجد قائمًا بنفسه فِي شاهدنا إلَّا كذلك، وكذلك الجواب لهم، إن قالوا: فيجب أن يكون علمهُ وحياتهُ وكلامهُ وسمعهُ وبصرهُ وسائر صفات ذاته عرضًا واعتلوا بالوجود.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

والمعنى فِي هذا أن صفاته كلها جلَّ وعلا يُباين فِيها المخلوقين، فلا يلزم من إثباتها أن يكون مشابها للمخلوقين، فكما لا يلزم فِي ذاته، ولا فِي سمعه، ولا فِي بصره، فكذلك لا يلزم فِي يده ولا فِي إصبعه ولا فِي قدمه ولا فِي سائر صفاته، كلها بابها واحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

الباب واحد، يجب أن تمر كلها كما جاءت مع الإيمان القاطع الجازم بأنها تليق به سبحانه وتعالى، وأنه لا يشابه فيها خلقه، هكذا قال أهل السنة والجماعة فِي جميع أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقال: فإن قال: تقولون: إنَّه فِي كل مكان؟.

قيل له: معاذ اللَّه، بل مستوٍ على عرشه كما أخبر فِي كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

قال: ولو كان فِي كلِّ مكان، لكان فِي بطن الإنسان وفمه،

والحشوش، والمواضع التي يرغبُ عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يُشِيرُ بهذا أنه يُدعى من أعلى سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أيضًا فِي هذا الكتاب: صفاتُ ذاته التي لم يزلْ ولا يزالُ موصوفًا بها، هي الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا.

وقال فِي كتاب «التمهيد» كلامًا أكثر من هذا؛ لكن ليست النسخة حاضرة عندي، وكلامه وكلام غيره من المتكلمين فِي مثل هذا الباب كثيرٌ لمن يطلبه، وإن كُنَّا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو الحقيقة، إنما يذكر كلامهم للرد على الخصوم، وإلَّا فالمسلمون وأهل السنة مستغنون بكلام اللّهِ وكلام رسوله ﷺ وكلام أصحاب النبي ﷺ عن كل كلام؛ ولكن يذكر كلام أهل العلم من باب الاستشهاد، والرد على الخصوم، وأن هؤلاء العلماء تلقوا الكتاب والسنة، كما جاءت وآمنوا بها وصدَّقوا بها وانقادوا لها، وهم حُجَّة على من سواهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وملاك الأمر أن يهب اللَّه للعبد حكمةً وإيمانًا بحيث يكون له عقلٌ ودينٌ حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يُغنيه عن كل شيء؛ ولكن كثير من النَّاس قد صار منتسبًا إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسنًا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهمًا أنَّهم حققوا فِي هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يعني: هذا واقع، كثير من الناس تقليده أعماه، لو يؤتى بكل شيء لا يؤمن، حتى إذا جيء بشيء من كلام أئمته قنع بذلك وقبل، فهذا ينقل كلام أهل العلم من المؤلفين حتى ينقادوا للحقّ الذي دلَّت عليه الآيات والأحاديث النبوية، لا؛ لأنَّ الحُجَّة فِي كلام المنقول عنهم من العلماء المتأخرين لا؛ ولكن لأجل إقناع غيرهم، ودعوة غيرهم إلى الحقّ الذي دلَّ عليه الكتاب وسنة رسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنَّهم أخذوا بالهُدى الَّذي يجدونه فِي كلام أسلافهم لرُجي لهم مع الصدق فِي طلب الحقّ أن يزدادوا هُدى، ومن كان لا يقبل الحقّ إلا من طائفة معينة، ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحقّ، ففِيه شَبَهٌ من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ

﴿ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩١].

فإنَّ اليهود قالوا: لا نؤمن إلّا بما أُنزل علينا، قال الله تعالى لهم: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩١] أي: إن كنتم مؤمنين بما أُنزل عليكم، يقول سبحانه وتعالى: لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون؛ ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حالُ من لم يقبل الحقّ، لا من طائفته، ولا من غيرهم مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من اللّهِ ولا بيان.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إنَّه قد حرم عليكم فيما أنزل إليكم فخالفت ذلك، الله المستعان، وفق الله الجميع، وثبت الجميع على الهدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك قال أبو المعالي الجويني فِي كتابه «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالك العلماء فِي هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك فِي آي اللَّهِ، وما يصحُّ من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرِّب.

فقال: والذي نرتضيه رأيًا وندين اللّه به عقيدةً: اتِّباع سلف الأمة، والدليل السمعيّ القاطع فِي ذلك إجماع الأمة وهو حُجّة متَّبعة، وهو مستندٌ معظم الشريعة.

وقد درج صحبُ رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فِيها، وهم صفوةُ الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا فِي ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم النَّاس

ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويلُ هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهمْ وعصرُ التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع، فحقٌ على ذي الدِّين أن يعتقد تنزيه اللّه عن صفات المُحدَثين، ولا يخوض فِي تأويل المشكلات، وَيَكلُ معناها إلى الرَّبِّ تعالى، فليُجْر آية الاستواء، والمجيء، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤] وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو الحقُّ الذي قاله أبو المعالي، وأن أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح مشوا على هذا، وتركوا التأويل الذي خاضه الجهمية وأشباههم.

وقوله نُفَوِّضُ المعنى، يعني: الكيفِيَّة، فالمعنى، يعني: يفوض الكيفِية، أمَّا المعاني معلومة، وليس مراده رأي المفوضة الَّذين هم شر من الجهمية الَّذين يقولون: إنَّ اللّه خاطب الناس بما لا يفهمون، ولا يعقلون، وإنَّما مراده: أن نفوض المعنى من جهة الكيف، كما قال مالك وغيره، مثل ابن المبارك، وسفيان وغيرهم: أمرُّوها بلا كيف، يعني: آمنوا بها وأمرُّوها من دون أن تكيفوا الصفات، فالمعنى معروف، الاستواء: معروف معناه، والعلم معروف، والضحك معروف، اليد معروفة، القدم معروفة، السمع معروف؛ لكن ليس مثل صفات المخلوقين.

■ سؤال: أبو المعالي هل وقع في التأويل؟

● **الجواب: بعض كتبه الأخرى؛ لكن كلامه هنا طيِّب كلامه فِي الرسالة النظامية هذه طيبٌ، وإذا أخطأ هو أو غيره فِي بعض المسائل: يؤخذ الصواب، ويترك الخطأ.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلتُ: وليعلم السائل أنَّ الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف فِي هذا الباب، وليس كلُّ من ذكرنا شيئًا من قوله: من المتكلمين وغيرهم يقولُ: بجميع ما نقوله: فِي هذا وغيره؛ ولكن الحقَّ يُقبلُ من كُلِّ من تكلَّم به.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

قُلْت: هذا من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، والمعنى فِي هذا لا تظن أن من ذكرنا عنهم أنَّهم موافقون لنا فِي كل شيء؛ لكن ننقل عنهم ما أصابوا فِيه الحقَّ، وما وافقوا فِيه الحقِّ، وإذا وجد لفلان أو فلان أغلاط، فهي تُردُّ عليه، كما تردُّ على غيرهم، فَينبغي لمن نقل عن الشخص كلامًا حقًا أن يعرف أنه إذا قال: قولًا آخر باطلًا فالباطل يرد، يقبل الحقُّ ممن جاء به ويردّ الباطل على من جاء به.

هذا هو المقصود: سواء كان كبيرًا، أو متوسطًا أو صغيرًا ما قاله من الحقَّ قُبِلَ على العين والرأس؛ لأنه حقٌّ وما قاله من الباطل رُدَّ؛ لأنه باطل، وإن كان من قاله عظيمًا، فالحق فوق ذلك وأعظم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: فِي كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داود فِي سننه «اقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَإِنَ كَانَ كَافِراً - أو

قال: فاجرًا ـ وَاحْذَرُوا زَيْغَةَ الحَكِيم؟ قَالُوا: كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ الكَافِرَ يَقُولُ: كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: إِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا»[(١)] أو [قال] كلاماً هذا معناه.

فأمَّا تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشُّبه، وتحقيق الأمر على وجهٍ يخلصُ إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد فِي هذه المهامة، فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبتُ شيئًا من ذلك قبل، هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب ـ إن شاء الله ـ فِي ذلك ما يحصلُ به المقصود.

وجماعُ الأمر فِي ذلك: أنَّ الكتاب والسنة يحصلُ منهما كمال الهدى والنور لمن تدَّبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتِّباع الحقِّ وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد فِي أسماء اللّهِ وآياته.

ولا يحسبُ الحاسب أنَّ شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا ألبتة مثل أن يقول: القائلُ: ما فِي الكتاب والسنة من أنَّ اللّهَ فوق العرش يخالفهُ الظاهرُ من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ، فَإِنَّ اللّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ**»[(٢)] ونحو ذلك، فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقةً، وهو فوق العرش حقيقةً، كما جمع الله بينهما فِي قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر

---

(١) هذا الأثر أخرجه بمعناه في كتاب السنة باب فِي لزوم السنة برقم (٤٦١١).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري فِي كتاب الصلاة باب حك البزاق باليد من المسجد برقم (٤٠٦)، ومسلم فِي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق فِي المسجد فِي الصلاة وغيرها برقم (٥٤٧).

أنه فوق العرش يعلمُ كلَّ شيء، وهو معنا أينما كُنَّا، كما قال النبي ﷺ فِي حديث الأوعال: «**وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُو يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**»[١].

وذلك أن كلمة «مع» فِي اللغة إذا أطلقت، فليس ظاهرها فِي اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قُيِّدتْ بمعنى من المعاني دلَّت على المقارنة فِي ذلك المعنى، فإنه يُقال: ما زلنا نسير والقمرُ معنا أو والنجمُ معنا، ويقال: هذا المتاعُ معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: كل شيء بحسبه، فالقمر معنا، أي: نور القمر والنجم معنا نراه أي: نهتدي به، وهكذا «وَاللّهُ مَعَكُمْ» بعلمه واطِّلاعه علينا ورؤيته لنا، وأنه لا يخفى عليه منا خافِية سبحانه وتعالى، وهو فوق العرش، هكذا فلانة مع فلان، وإن كانت فِي بلاد، وهو فِي بلاد، يعني: زوجة له فِي عصمته، وإن كانت فِي الشرق، وهو فِي الغرب، ففلانة مع فلان يعني: زوجة له، وإن كانت ليست عنده وإن كانت عنه بعيدة .

كذا يقال: فلان مع فلان، وفلان مع معاوية، وإن كان فِي أقصى الدنيا، وفلان مع علي، وإن كان فِي أقصى الدنيا، أي: معه فِي النصرة والحماية والتأييد، وهكذا ما أشبه ذلك، فلان مع الخوارج وإن كان بعيدًا عنهم، فلان مع الرافضة، وإن كان بعيدًا عنهم، يعني: فِي عقيدته، وفِي حمايته لهم، ونصره لهم إلى غير هذا، كل مع له معنى كل مقام له ما يناسبه.

---

(١) سبق تخريجه.

الأسئلة

■ سـؤال : ألا يقال: إنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى معنا بذاته له معية بذاته تليق بجلاله؟.

● **الجواب: هذا غلط بل مثل ما قال السلف معية علم، الذات فوق العرش سبحانه وتعالى.**

■ سـؤال : هل قال: ذلك أحد من السلف؟.

● **الجواب: ما أعرف أحداً قال بذلك، ومن قالها أنكروا عليه؛ لأن نتيجتها الاختلاط والامتزاج تعالى عن ذلك، فهي معية علم واطّلاع على عباده، أمَّا كونه معهم بذاته فلا، هو فوق العرش، ومع خلقه بعلمه.**

■ سـؤال : يقال: كيف اللَّهُ معنا مع استواءه على العرش؟.

● **الجواب: نعم. معنا بعلمه واطّلاعه علينا، كل مقالة لها معناها اللائق بها.**

■ سـؤال : حديث الأوعال ثابت؟.

● **الجواب: منهم من حسنه، حسنه جماعة، وبعضهم أعله؛ لأن بعض رواته لم يسمع من الأحنف الراوي عن الأحنف لم يسمع منه؛ ولكن معناه صحيح من حيث العلو والفوقية، وأنَّ اللَّهَ مع عباده بعلمه سبحانه وتعالى.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فاللَّهُ مع خلقه حقيقةً، وهو فوق عرشه حقيقةً.

ثم هذه المعيَّة تختلفُ أحكامُها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ

﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] دلَّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعيَّة ومقتضاها أنه مطَّلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه» وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك فِي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] ولما قال النبي ﷺ لصاحبه فِي الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهره، ودلَّت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معيَّة الاطِّلاع والنصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، هنا المعيَّة على ظاهرها وحكمها فِي هذه المواطن النصرُ والتأييد.

وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي، فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فَيقول: لا تخف أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضر ونحو ذلك، ينبهه على المعيَّة الموجبة بحكم الحال دفع المكروه، ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع.

فلفظ المعيَّة قد استعمل فِي الكتاب والسنة فِي مواضع يقتضي فِي كل موضع أمورًا لا يقتضيها فِي الموضع الآخر، فإمَّا أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصيّة، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرَّب عزَّ وجلَّ مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها.

ونظيرها من بعض الوجوه «الربوبية، والعبودية» فإنهما وإن اشتركتا فِي أصل الربوبية والعبودية فلما قال: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢] كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاصٌ زائد على الربوبية العامَّة للخلق؛ فإن من أعطاه اللّه من الكمال أكثر مما أعطى غيره، فقد ربه ورباه، وربوبية وتربية أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

فإنَّ العبد تارةً يعنى به المُعَبد فيعم الخلق، كما فِي قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[مريم: ٩٣] وتارةً يعني به العابد فيخص؛ ثم يختلفون فمن كان أعبدَ عِلمًا وحالًا كانت عبوديته أكمل.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والمعنى أنها ربوبية خاصة وعبودية خاصة، وربوبية عامة، وعبودية عامة، وهذا واضح المعنى، فإنَّ الربوبية بمعنى التربية لخوَّاص العباد من الرُّسل والأولياء وعباد اللّهِ الصالحين، غير الربوبية العامة لبقية البشر، وهكذا فالعبودية الخاصة للأنبياء والرسل، وعباد اللّهِ الصالحين غير العبودية العامة، وهذا كله واضح فِي الكتاب والسنة، وفِي كلام الناس أيضًا، فهكذا المعيَّة تنوعها أمر معلوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكانت الإضافة فِي حقه أكمل، مع أنَّها حقيقةً فِي جميع المواضع، ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس مشكِّكة لتشكك المستمع فيها،هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة،أو من قبيل المشتركة

فِي اللفظ فقط، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنَّما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والمتواطئة هي التي تشترك فِي أصل المعنى بخلاف المشتركة، فَإِنَّها لا تتفق فِي المعنى؛ بل تطلق على كلمات لها معان كثيرة، فيقال لها أسماء مشتركة، وأمَّا المتواطئة فهي التي تتحد فِي أصل المعنى، وتتفاوت فِي معان كثيرة؛ لأنَّها ترد فِي كل مكان بما يناسبه.

وهكذا المعيَّة مع العباد، معية اللَّهِ مع عباده، معية الرجل مع زوجته، معيته مع ولي الأمر كلمة، وإن كان أصل المعنى نوع المقارنة، بخلاف الكلمات التي تطلق على أشياء كثيرة مشتركة لا تتحد في معنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن علم أنَّ المعيَّة تُضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات كإضافة الربوبية مثلًا، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول، ولا بالتحتية قط لا حقيقةً ولا مجازًا: علم أنَّ القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ثم من توهم أن كون اللَّهَ فِي السماء بمعنى أنَّ السماء تحيطُ به وتحويه، فهو كاذبٌ - إن نقله عن غيره - وضالٌّ - إن اعتقدهُ فِي ربّه - وما سمعنا أحدًا يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحدًا نقله عن أحد،

ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول اللَّهِ ورسوله «إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ» أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا، فمن التَّكلّف أن يجعل ظاهرُ اللفظ شيئًا مُحالًا، لا يفهمهُ الناس منه، ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند الناس «أنَّ الله فِي السماء» وهو على العرش واحد، إذ السماء إنَّما يراد به العلو، فالمعنى أن الله فِي العلو لا فِي السفل، وقد علم المسلمون أن كُرسيّه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض، وأن الكرسيَّ فِي العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات اللّه لا نسبة له إلى قدرة اللّه وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أنَّ خلقًا يحصره ويحويه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] وقال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٧] بمعنى: «على» ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقةً لا مجازًا، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة فِي الغالب لا مشتركة.

وكذلك قول النبي ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ**»[1] الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش، وهو قِبَل وجه المصلي؛ بل هذا الوصف يثبُتُ للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء، أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضًا قبل وجهه.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ؛ ولكن المقصود: بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه، لا تشبيه الخالق بالمخلوق.

---

(١) سبق تخريجه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

والمعنى فِي هذا أنَّ جميع الروايات لا تنافِي العلو، وهي: «إنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي» ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وما أشبه ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] كله لا ينافِي العلو، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق، وهو مع عباده بعلمه واطِّلاعه، وهو قبل وجوه المصلين؛ لأنهم يعبدونه ويقصدونه ويقبلون عليه سبحانه وتعالى، فهو قبل وجوههم، وإن كان فوق العرش، وفوق جميع خلقه سبحانه وتعالى، لا تنافِي بين هذه الصفات، وبين عُلوِّه واستوائه على عرشه جلَّ وعلا؛ لأنه لا يقاس بخلقه، ولا يُشبَّهُ بخلقه جلَّ وعلا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَرَى رَبَّهُ مَخْلِيًا بِهِ**» فقال له أبو رزين العقيلي: كَيْفَ يَا رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ وَاحِدٌ وَنَحْنُ جَمِيعٌ؟ فقال النبي ﷺ: «**سَأُنَبِئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللَّهِ، هَذَا الْقَمَرُ كُلُّكُمْ يَرَاهُ مَخْلِيًا بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَاللَّهُ أَكْبَرُ**» **أو كما قال النبي ﷺ**(١).

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وهذا مثال واضحٌ، الأمثلة كثيرة القمر، والشمس، والنجوم، يراها الناس، كل يراها فِي مكانه، وفِي بيته، وفِي سطحه، وفِي جبله، وفِي مرعاه، وفِي كل مكان، وكل واحد يراها منفردًا بها، والله فوق

---

(١) رواه أبو داود بلفظ آخر قريبًا من هذا اللفظ فِي كتاب السنة باب فِي الرؤية برقم (٤٧٣١)، وابن ماجه فِي المقدمة باب فِيما أنكرت الجهمية وغيرها برقم (١٨٠).

ذلك، وأعظم من ذلك، سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة، وهم على أسرَّتهم وعلى أماكنهم إذا تجلى لهم سبحانه وتعالى، وهذا بفضله وإحسانه إليهم حيث يتجلى لهم، ويريهم وجهه الكريم، ويُكلِّمهم ويسلِّم عليهم، ويقول: «هَلْ رَضِيتُم»[1] سبحانه وتعالى.

الأسئلة

■ سـؤال: هل سيكون هناك زحام فِي ذلك الموقف؟

● **الجواب: لهم مزارهم على كراسيهم، وعلى أماكنهم، ما فِي زحمة، ولا فِيه شيء، على ما أعد الله لهم من الكراسي والمنازل.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» فشبَّه الرؤية بالرؤية، وإنْ لم يكن المرئي مُشابهًا للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربَّهم يوم القيامة وناجوه كُلٌّ يراهُ فوقه قبل وجهه، كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلا.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

لأنها رؤية حقيقة، تشبيه الرؤية بالرؤية، ليست خيالًا ولا كذبًا؛ بل حقيقةً كما أنّ رؤية الشمس والقمر، والنجوم وأشباهها حقيقةً، فهكذا المؤمنون يوم القيامة وبدار الكرامة يرون ربَّهم حقيقةً سبحانه وتعالى، ويكشف لهم الحجاب عن وجهه الكريم، فَيرونه فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى، ولا يلزم من هذا

---

(١) سبق تخريجه من حديث أبي سعيد الخدري.

تشبيه ولا تكييف، إي: نعم: الله أكبر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن كان له نصيبٌ من المعرفة بالله والرسوخ فِي العلم باللّهِ: يكون إقراره للكتاب والسنَّة على ما هما عليه أو كد.

واعلم أنَّ من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ «مجمل»، فإنَّ قوله: «ظاهرها غير مراد»، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أنَّ يراد بكون اللّه «قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي» أنه مستقر فِي الحائط الذي يصلي إليه، وأنَّ «اللّهَ مَعَنَا» ظاهره أنه إلى جانبنا، ونحو ذلك، فلا شك أنَّ هذا غير مُراد.

ومن قال: إنَّ مذهب السلف: أنَّ هذا غير مراد، فقد أصاب فِي المعنى؛ لكن أخطأ بإطلاق القول: بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث، فإنَّ هذا هو المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه فِي غير هذا الموضع اللَّهم إلَّا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار، معذورًا فِي هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبيِّن لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر: أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام اللّهِ وكلام رسوله حقَّه لفظًا ومعنًى.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

ولهذا بيَّن سبحانه لما أخبرهم بسمعه، وبصره، وغضبه، ورضاه، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فعُلم بذلك أنَّ الظاهر الذي أخبر به سبحانه وتعالى، هو الظاهر الذي يليق به، ليس الظاهر الذي يشابه العباد، فظاهر النصوص هو الشيء الذي يوافق ما أخبر به سبحانه، وهو أنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] فهي صفات ظاهرة معلومة ليس ظاهرها الذي يظنه المخلوق الجاهل، أنها من جنس صفاته، لا بل ظاهرها هو الذي يليق بالله؛ لأن هو بيَّنه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

فإذا قال: إنَّه سميع، بصير، فليس الظاهر من جنس صفات المخلوقين؛ بل الظاهر الذي يليق بالله سبحانه وتعالى، ويناسبه سبحانه وتعالى، كما أخبر عزَّ وجلَّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وإن كان الناقل عن السلف أراد ـ بقوله الظاهر غير مراد عندهم ـ أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث ممَّا يليقُ بجلال اللّهِ وعظمته، ولا يختصُّ بصفة المخلوقين؛ بل هي واجبة للّهِ أو جائزةٌ عليه جوازًا ذهنيًا، أو جوازًا خارجًا: غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمَّد الكذب، فما يمكن أحدًا قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل ـ لا نصًا ولا ظاهرًا ـ أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ الله ليس فوق العرش، ولا أنَّ اللّهِ ليس له سمع، ولا بصر، ولا يد حقيقة.

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعضُ من يحكيه عن السلف، ويقول إن طريقة أهل التأويل هي - فِي الحقيقة - طريقةُ السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات اللّهِ سبحانه؛ ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة فِي تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقول: الفرق أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره.

وهذا القول على الإطلاق كذبٌ صريح على السلف: أمَّا فِي كثير من الصفات فقطعًا مثل: إنَّ اللّهِ تعالى فوق العرش، فإنَّ من تأمل كلام السلف المنقول عنهم - الَّذي لم يحك هنا عشره - علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأنَّ اللّهَ فوق العرش حقيقة، وأنَّهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط، وكثير منهم قد صرح فِي كثير من الصفات بمثل ذلك.

واللَّهُ يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل - لا نصًا ولا ظاهرًا، ولا بالقرائن - على نفي الصفات الخبرية فِي نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيرًا من كلامهم يدل - إمَّا نصًا، وإمَّا ظاهرًا - على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة؛ بل الَّذي رأيته أنهم يثبتون جنسها فِي الجملة، وما رأيت أحدًا منهم نفاها، وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبِّهون اللّهَ بخلقه، مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضًا، كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: «من شبّه اللّه بخلقه، فقد كفر، ومن جحد ما وصف اللّه به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف اللّه به نفسه، ولا رسوله تشبيهًا»[(١)].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (٩٣٦).

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرقُ فِي نفي التشبيه من غير إثبات الصفات، قالوا: هذا جهميٌ معطِّل، وهذا كثيرٌ جدًا فِي كلامهم، فإن الجهمية، والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا ـ كذبًا منهم وافتراء ـ حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يعني: رماهم بأنهم مشبهة، وهذا أعظم الجهل والكفر، نسأل الله العافِية، نعوذ بالله من ذلك نعم إلى يومنا هذا من بقايا المعتزلة، والجهمية وغيرهم من الإباضية والرافضة وغيرهم، يرمون من وصف الله بصفاته، وسمَّاه بأسمائه يسمونه مشبهًا ومجسمًا وحشويًا، نسأل الله العافِية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

حتى قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مُشَبِّهَةٌ، مُوسَى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعرَاف: ١٥٥] وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: ١١٦] ومحمد حيث قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»[(١)].

وحتى إن جُلَّ المعتزلة تُدخلُ عامَّة الأئمة مثل: مالك وأصحابهُ، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم فِي قسم المشبِّهة.

---

(١) سبق تخريجه حديث النزول، أما قول ثمامة فلم أجد من خرجه غير ذكر شيخ الإسلام هنا، وقد أورده الذهبي عن أبي داود بتقديم عيسى ثم في موسى ذكر قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] ومحمد ﷺ حيق قال: «إنكم ترون ربكم» برقم (٥٠٨).

وقد صنَّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءً سمَّاه: «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة» ذكر فِيه: كلام السلف وغيرهم فِي معاني هذه الباب، وذكر أن أهل البدع كلُّ صنفٍ منهم يُلقب أهل السنة بلقبٍ افتراهُ، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها.

فالروافض: تسميهم نواصبٌ، والقدرية: يسمونهم مجبِّرَّة، والمرجئة: تسميهم شُكاكًا، والجهمية: تسميهم مشبهة، وأهل الكلام يسمونهم حشويةً ونوابت، وغثاءً، وغثرًا إلى أمثال ذلك.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هكذا أهل البدع يسمون من خالفهم بالألقاب الشنيعة للتنفِير؛ ولهذا يسمون أهل الكتاب والسنة بالألقاب التي هم بها أليق، الروافض: يسمونهم نواصب؛ لأنهم زعموا أنَّهم يبغضون عليًا، وقد كذبوا؛ ليسوا يبغضون عليًا؛ بل يحبونه؛ ولكن لا يغلون فِيه، ولا يعطونه غير حقِّه، بخلاف الرافضة، فقد غلو فِيه، وأعطوه غير حقه.

هكذا نفاة الصفات يسمون أهل السنة حشوية ومجسمة ومشبِّهة، وهم فِي الحقيقة الحشوية، وهم المجسمة، وهم المشبهة، الذين شبهوه بالمعدومات، والناقصات، والجمادات، قبحهم الله.

وهكذا نفاة القدر، وهكذا المرجئة، كل طائفة تسمي خصمها بالألقاب الشنيعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارةً مجنوناً، وتارةً شاعراً، وتارةً كاهناً، وتارةً مفترياً.

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التَّامة، فإنَّ السنَّة: هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا واقتصادًا، وقولًا وعملًا، فكما أنَّ المنحرفين عنهُ يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة، وإن اعتقدوا صدقها بناءً على عقيدتهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة الَّذين هم أولى النَّاس به فِي المحيا والممات؛ باطناً وظاهراً.

وأمَّا الَّذين وافقوهُ ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والَّذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، والَّذين وافقوه ظاهرًا وباطنًا بحسب الإمكان، فلا بدَّ للمنحرفِين عن سنَّته أن يعتقدوا فيهم نقصًا يذمونهم به، ويسمونهم بأسماءٍ مكذوبة، وإن اعتقدوا صدقها، كقول الرافضي: من لم يبغضُ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد أبغض علياً؛ لأنه، لا. ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ناصبيًّا؛ بناءً على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة، أو عاندًا فِيها وهو الغالب.

وكقول القدري: من اعتقد أنَّ اللَّهَ أراد الكائنات، وخلق أفعال العباد، فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجهمي: من قال إنَّ اللَّهَ فوق العرش، فقد زعم أنَّه محصورٌ، وأنَّه جسمٌ مركب محدود، وأنَّه مشابه لخلقه.

وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال: إنَّ لِلَّهِ علمًا وقدرةً، فقد زعم

أنَّه جسم مركب، وأنَّه مشبِّهٌ؛ لأنَّ هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلَّا بجوهرٍ متحيزٍ، وكُل متحيز جسم مركب، أو جوهر فرد، ومن قال: ذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة.

ومن حكى عن النَّاس «المقالات» وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناءً على عقيدته التي هم مخالفون له فِيها، فهو وربه. واللّه من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلَّا بأهله.

وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة فِي آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام: كلٌّ قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

قسمان يقولان: تجري على ظواهرها.

وقسمان يقولان: هي على خلاف ظاهرها.

وقسمان: يسكتون.

وأمَّا الأولان: فقسمان:

أحدهما: من يجريها على ظاهرها ويجعلُ ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المُشبِّهة، ومذهبهم باطلٌ، أنكره السلف، وإليهم يتوجه الردُّ بالحق.

الثاني: من يُجريها على ظاهرها اللائق بجلال اللّهِ، كما يجري ظاهر اسم العليم، والقدير، والرَّبِّ، والإله، والموجود، والذات ونحو ذلك، على ظاهزها اللائق بجلال اللّهِ، فإنّ ظواهر هذه الصفات فِي حقِّ المخلوقين: إمَّا جوهر محدثٌ، وإمَّا عرض قائم به.

فالعلم، والقدرة، والكلام، والمشيئة، والرحمة، والرضا، والغضب، ونحو ذلك: في حقِّ العبد أعراض.

والوجه، واليد، والعين، فِي حقه أجسام.

فإذا كان اللَّهُ موصوفًا عند عامَّة أهل الإثبات بأنَّ له علمًا، وقدرةً، وكلامًا، ومشيئةً، وإن لم يكن ذلك عرضًا، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين، جاز أن يكون وجه اللّهِ، ويداه صفات ليست أجسامًا، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

والمعنى أنا نثبت صفات اللَّهِ وأسماءه على الوجه اللائق به سواء كانت من العلم، والقدرة، ونحو ذلك، أو من أسماء الذوات كالوجه، واليد، والقدم، ونحو ذلك، والسمع، والبصر كلها يجب إثباتها لِلّهِ على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه فِي شيء من صفاته، فصفات المخلوقين من وجوههم، وأيديهم وعلومهم يعتريها النقص، والعدم والضعف، فهو يموت، ويعمى، ويصيبه ما يصيبه من الآفات، أما الله عزَّ وجلَّ، فهو منزهٌ عن هذا كله، لا يعتري صفاته نقص؛ بل له الكمال المطلق من كل الوجوه فِي ذاته وأسماءه وصفاته، فلها صفة الكمال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، لأنه كامل سبحانه فِي ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله لا شبيه له، ولا كفء له، ولا ندَّ له، سبحانه وتعالى.

■ سؤال: أحسن الله إليكم، مرت عبارة فِي قوله: «ومن حكى عن الناس المقالات وسمَّاهم بهذه الأسماء المكذوبة بناءً على عقيدته التي هم مخالفون له فِيها، فهو وربه، والله من ورائه بالمرصاد»؟

● **الجواب: يعني: مصيره إلى ربه، الله هو الذي يجازيه.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضحٌ، فإنَّ الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتةً حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاتُهُ ثابتةٌ حقيقيةٌ من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقلُ علمًا ويدًا إلا من جنس العلم، واليد المعهودين.

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين؟ ومن المعلوم أنَّ صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرَّبِّ الَّذي ليس كمثله شيء إلَّا ما يناسب المخلوق فقد ضل فِي عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف استوى؟ أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا؟، أو كيف يداه ونحو ذلك؟.

فقل له: كيف هو فِي ذاته؟.

فإذا قال لك: لا يَعلم ما هو إلَّا هو، وكُنه الباري تعالى غيرُ معلوم للبشر.

فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزمٌ للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكنُ أن تعلم كيفية صفة لموصوفٍ، ولم تعلم كيفيته؟! وإنَّما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة التي على الوجه الذي ينبغي لك؛ بل هذه المخلوقات فِي الجنَّة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله

عنهما أنه قال: «لَيْسَ فِي الجَنَّةِ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الأَسْمَاء»(١).

وقد أخبر الله تعالى: أنه ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] وأخبر النبي ﷺ: «أَنَّ فِي الجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ؛ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٢).

فإذا كان نعيم الجنَّة وهو خلقٌ من خلق اللّهِ كذلك، فما ظنك بالخالق سبحانه وتعالى.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

يعني: أن ما فِي الجنَّة من النعيم لا يشبه ما فِي الدنيا؛ بل له فضل عظيم، وفرق عظيم أمَّا فِي الدنيا فاللّهُ أولى وأولى بأن يكون مخالفًا لما عليه المخلوقون، وله الكمال الكامل سبحانه وتعالى، ولا يشابه مخلوقاته، فالمخلوقات الموجودة فِي الجنة، ومع هذا لا تشبه مخلوقات الدنيا؛ بل هي أفضل منها وأعظم وأحسن وعواقبها أطيب، فكيف بحال الخالق سبحانه وتعالى؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وهذه الروح التي فِي بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فِيها، وإمساكُ النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام فِي كيفية الله تعالى؟ مع أنا نقطع بأن الروح فِي البدن، وأنَّها

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ١٧٤) عند تفسير آية (٢٥) من سورة البقرة، وكذا ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة .

(٢) متفق عليه من أبي هريرة أخرجه البخاري فِي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] برقم (٤٧٧٩)، ومسلم فِي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فِي صفة الجنة برقم (٢٨٢٤).

تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنَّها تُسلُّ منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي فِي تجريدها غلو المتفلسفة، ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزولَ والاتصالَ بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدمُ مماثلتها للبدن لا ينفِي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها إلَّا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص؛ فيكونون قد أخطؤوا فِي اللفظ وأنى لهم بذلك.

ولا نقول: إنَّها مجرد جزءٍ من أجزاء البدن كالدم والبُخار مثلا، أو صفة من صفات البدن والحياة، وأنَّها مختلفة الأجساد ومساوية لسائر الأجساد فِي الحَدِّ والحقيقة، كما يقول طوائف من أهل الكلام: بل يتيقن أن الروح عينٌ موجودةٌ غير البدن، وأنَّها ليست مماثلة له، وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقةً لا مجازاً.

فإذا كان مذهبُنا فِي حقيقة الروح وصفاتها بين المعطلة والممثلة: فكيف الظنُّ بصفات ربِّ العالمين؟.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

المقصود: من هذا أنَّ الروح بها عبرة للعاقل، هذه الروح التي بها حياة الإنسان، وبها تصرفاته وعلمه وغير ذلك، عبرة جهلهُ بها، يكفيه أن يقف عند هذا، إذا جهل روحه فكيف يطلب أن يعلم كيفية الرَّبِّ، وكُنههُ سبحانه وتعالى؟! واللَّهُ قد نهاه عن هذا، وبيَّن له أنه لا مثيل له، ولا كفء له، فهو بهذا يكابرُ ويطلب شيئًا مُنع منه، ولا سبيل له إليه، فهو أعجز وأقلُّ من أن يعرف كيفية ربِّه، وكُنهُه سبحانه وتعالى، وهذه روحه بين جنبيه، وما يعرف حقيقتها ولا كنهها، وإنَّما يعرف شيئًا من

صفاتها، من خروجها ورجوعها، وغير ذلك مما أخبر اللّهُ به عنها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] مع أنها هي قوامُ هذا البدن، بخروجها يكون كسائر الجمادات فله فِي هذا - لو عقل - عبرة لأن يكُفَّ عمَّا جهل وأن يعرف قدره، وأن يقف عند الحدود التي حدها اللّه له، فلا يتكلف ما لا يعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأمَّا القسمان اللذان ينفِيان ظاهرها؛ أعني: الذين يقولون: ليس لها فِي الباطن مدلول هو صفة اللّهِ تعالى قط، وأنَّ اللّهِ لا صفة له ثبوتية؛ بل صفاته إمَّا سلبية وإمَّا إضافيَّة وإمَّا مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات: وهي صفات السبعة أو الثمانية، أو الخمسة عشر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرون: من الصفات الخبرية بما فِي القرآن دون الحديث على ما قد عُرف من مذاهب المتكلمين، فهؤلاء قسمان:

«قسم» يتأولونها ويعيِّنون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى؛ أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه؛ إلى غير ذلك من معاني المتكلمين.

و«قسم» يقولون: اللَّهُ أعلم بما أراد بها؛ لكنَّا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عمَّا علمناه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

وهذا القسم يسمون المفوضة، والأولون يسمون المعطلة عطلوا صفاته، وهؤلاء فوضوها وزعموا أن الله خاطبهم بما لا يعلمونه، وهذه الطائفة أقبح أيضًا من الطائفة الأولى من بعض الوجوه، وأهل السنة،

يقولون: إنَّها حَقٌّ، وإنَّها صفات معلومة؛ لكن لا يعلم كيفيتها؛ بل ذلك إلى اللّهِ.

الاستواء: معروف، وهو الارتفاع، والعلو، والرحمة معلومة، والسمع معلوم، والبصر معلوم؛ ولكن ليس مثل صفاتنا.

■ سؤال: من هم المفوضة يا شيخ؟.

● **الجواب: طائفة من المتكلمين يقولون ما يعرفون لذا سموا مفوضة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمَّا القسمان الواقفان:

فقوم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال اللّهِ، ويجوز أن لا يكون المراد صفة اللّه ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقوم يمسكون عن هذا كُلِّه، ولا يزيدون على تلاوة القرآن، وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم، وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

والصواب: فِي كثير من آيات الصفات وأحاديثها، القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدَّالة على أنَّ اللّهَ سبحانه وتعالى فوق عرشه، ويُعلم طريقة، الصواب: فِي هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض؛ وفِي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض، وتردُّد المؤمن فِي ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل اللّهُ له نورًا فما له من نور.

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم فِي صحيحه(١) عَن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وهذا هو مسلك المؤمن فِي كل شيء؛ لأنَّ باب الاشتباه، وباب الجهل ليس خاصًا بالصفات، قد يشكل عليه أشياء فِي الصلاة فِي الزكاة فِي الصيام فِي الحج فِي المعاملات فِي الطلاق فِي الدعاوى والبينات فِي الأوقاف، فالباب واحد، ينبغي للمؤمن أن يسلك مسلك أهل العلم فِي اتِّباع الكتاب والسنَّة، وإيثار الحقِّ فِي باب الصفات، وغيرها.

فِي باب الصفات مسلك أهل السنة والجماعة فِي إثبات الصفات، هو نفِي مشابهة اللّهِ للمخلوقات، وفِي باب العبادات التمسك بما جاء به الشرع، وترك ما خالف ذلك، فِي المعاملات ما دلَّ عليه الشرع فِي أحكام المعاملات وغير ذلك، وإذا اشتبه عليه شيء وحار فِي شيء، فليسأل ربه التوفِيق والهداية، ويسأل ربه أن يفتح عليه من العلم ما يزيل هذه الشبهة.

ومن ذلك ما كان يدعو به النبي ﷺ فِي صلاة التهجد: «**اللَّهُمَّ رَبَّ**

---

(١) أخرجه فِي كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء فِي صلاة الليل وقيامه برقم (٧٧٠).

جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

يسأل ربَّه أن يفتح اللَّه عليه، وأن يهديه لما اختلف الناس فِيه؛ لأن الغالب أن الاشتباه يكون فِي محل الاختلاف، محل الإجماع ما فِيه اشتباه، تطمئن القلوب؛ لكن دومًا يكون الاشتباه. فِي الغالب أنه فِيما وقع فِيه الخلاف، فعند هذا إذا وقع فِي قلبك شيء، ولم ينشرح صدرك ولم تطمئن، فاسأل ربك الهداية، واضَّرع إليه أن يهدي قلبك، وأن يبصِّرك وأن يمنحك العلم النافع والبصيرة، وأن يفقِّهك فِي الدِّين ومن ذلك هذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ...**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفِي رواية لأبي داود[1]: أنه كان يُكبِّرُ فِي صلاته، ثم يقول: ذلك.

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه وأدمن النظر فِي كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هو من أنواع دعاء الاستفتاح، وهي أنواع عديدة ثبتت عن النبي ﷺ هذا منها: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ**» إلخ والمعنى أنه ما يكتفِي بالدعاء، يدعو ويعمل، يدعو ويراجع الأدلة ويراجع كلام الصحابة، كلام أهل العلم فِي المسألة التي أشكلت عليه، فِيأخذ بالأسباب، يراجع الأدلة يتأمل يخلص للّهِ، ويسأل ربَّه الإعانة والتوفِيق حتى تنشرح نفسه للحق،

(١) أخرجه فِي كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء برقم (٧٦٨).

ويزول ما فِي نفسه من الشبهة.

فالدعاء وحده لا يكفِي وكذلك التفتيش وحده لا يكفِي، يجمع بينهما يدعو ربَّه يخلص إليه سبحانه وتعالى، ويصدق فِي ذلك ويبحث ويطالع ويراجع، ويسأل أهل العلم، وهكذا يأخذ بالأسباب كلها، هكذا الصادق فِي طلبه يجمع بين الأسباب كلها مثل من يطلب الرزق كذلك يفعل الأسباب: إن كان فِي مزرعة سقى الزرع، وأعنى بالزرع وأزال أسباب فساد الزرع مع الإخلاص لِلّهِ، ومع سؤال اللَّهِ التوفِيق، ومع سؤال اللَّهِ نزول البركة، وإن كان فِي جهاد أخذ السلاح، وأعد السلاح وحذر من العدو ومكائد العدو، ومع ذلك يسأل ربه النصر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النّساء: ٧١] وهكذا فِي المسائل الأخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم إن كان قد خبُر نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين فِي هذا الباب، وعرف أن غالب ما يزعمونه برهانًا هو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد؛ أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك فِي المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.

ثم إنَّ ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم، أوهمت الغر[1]ما يوهمه السرابُ للعطشان، ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنَّة، فإن الضِّدَّ يُظْهِرُ حسنهُ الضد.

---

(١) قال سماحته: الغر: يعني الجاهل.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

وبضدها تتبيَّن الأشياء، فإذا كان طالب العلم قد عرف حال المتكلمين، ونهاية إقدامهم وما صاروا إليه من الشك والريب، ثم تحولوا بعد ذلك إلى تحول بعضهم إلى قول أهل الحقِّ، وعرف أن ما يَّدعونه من الدعاوى ما بين كذبٍ، وما بين قياس فاسد، وما بين برهان لا حقيقة له، إنَّما هو شبهة، وما بين قواعد أسسوها لا أساس لها، وبين إجماعات ادعوها لا حقيقة لها، فإذا كان عنده بصيرة بهذه الأمور ازداد علمًا وازداد بصيرة، واطمئن إلى ما هداه اللّهُ إليه من العلم الذي حُرمه أولئك حتى وصلوا بعده إلى الشك والريب والجهل، أو رجعوا بعده إلى الحقَّ والصواب، واللهُ المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشدُّ تعظيماً، وبقدره أعرفُ إذا هدي إليه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

لأنَّ علمه السابق ببطلان ما عليه أهل الباطل يزيده علمًا بما هو عليه من الحق، ويزيده ثباتاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأمَّا المتوسطون من المتكلمين، فَيخاف عليهم ما لا يخاف على من لم يدخل فِيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإنَّ من لم يدخل فِيه، فهو فِي عافِية، ومن أنهاهُ فقد عرف الغاية، فما بقي يُخاف عليه من شيء آخر، فإذا ظُهر له الحقُّ وهو عطشان إليه قبله، وأمَّا المتوسط

فِيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لِمَعظمة هؤلاء.

وقد قال بعض النَّاس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصفُ متكلم، ونصفُ متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أنَّ المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم فِي الغالب في [الذّاريَات: ٨-٩] يعلم الذّكي منهم والعاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأنَّ حُجَّته ليست ببيِّنة، وإنَّما هي كما قيل فِيها:

حُجج تهافت كالزجاج تَخالُها حقًّا وكلٌّ كاسرٍ مكسور

ويعلمُ العليمُ البصيرُ بهم، أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال: رضي الله عنه قال: «حكمي فِي أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم فِي القبائل والعشائر، ويقال: هذا جَزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»(١).

ومن وجه آخر: إذا نظرت إليهم بعين القَدَرِ، والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم وترفقت بهم، أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاءً، وأعطوا فُهومًا وما أعطوا عُلومًا، وأعطوا سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

ومن كان عليمًا بهذه الأمور: تبيَّن له بذلك حذقُ، السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وَعَلِم أن من ابتغى الهدى فِي غير الكتاب والسنَّة لم يزدد من اللّهِ إلَّا بعدًا.

---

(١) سبق تخريجه.

فنسأل اللّه العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الَّذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين آمين.

والحمد لِلّهِ ربِّ العالمين، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيِّين وآله وصحبه أجمعين.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِي أهل الكلام أنه ينبغي أن ينظر إليهم بنظرين، أهل الكلام الَّذين خاضوا فِي الكلام، ولم يكتفوا بالكتاب والسنَّة حتى وقعوا فِيما وقعوا فِيه من الشَّك والحيرة، وحتى سببوا للنَّاس شكًا وحيرةً، وحتى سببوا للنَّاس مشاكل كثيرة ونزاعًا، ومناظرات وتعبًا كثيرًا من نظر إليهم من جهة خلافهم للكتاب والسنَّة، وإعراضهم عن النصوص، وتحكيمهم آرائهم صوَّب ما قاله الشافعي فِيهم، ورأى أنه كلام عظيم صدر من إمام جليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «حكمي فِي أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف في بهم القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، وأقبل على هذا الكلام».

فهذا كلام صحيح، كلام عظيمٌ، هم جديرون به حقيقون به لإعراضهم عن النصوص وتلبيسهم على الناس، وإشغالهم أكثر الناس حتى حار من حار، وضل من ضل بأسبابهم، فهم جديرون بأن يُطاف بهم فِي الأسواق والعشائر، والبلدان ويجلدوا ويضربوا، وينكل بهم لعملهم الخبيث، وإعراضهم عن النصوص.

ومن نظر فيهم بنظر ثان: وهو أنَّهم أصابتهم حيرة وشك وريب، والتبست عليهم الأمور، من نظرهم بهذا النظر رحمهم، ورأى أن من

الواجب أن يُعلَّمُوا ويوجَّهوا، وأن يُصْبر عليهم لعلهم يهتدون، لعلهم يتبصرون.

وهذا الذي قاله الشيخ رحمه الله صحيح فِي حقٍّ من لم يعاند، أمَّا من عاند وكابر، ولم يقبل الهدى، ولم يقبل التوجيه، فليس له إلا ما قاله الشافعي رحمه الله، وما هو أشدُّ منه من ضرب عنقه، وإراحة العالم منه، أو تخليده فِي السجون حتى يستريح الناس من شره وبلائه، فإنَّ هؤلاء القوم مثل ما قال أبو العباس رحمه الله: أعطوا ذَكَاءً، وما أعطوا زَكاءً، عندهم ذكاء عندهم فهوم، عندهم حذق؛ ولكن لم يوفقوا، ولم يعطوا زكاة، لم يزكيهم اللّه، ولم يعطيهم عِلمًا نافعًا؛ بل عندهم فهومٌ ضلوا بها، وعندهم ذكاء ضلوا به، وكثير من الأذكياء قد يتزندق بسبب ذكاءه، ويحتقر النَّاس، ويرى أنَّهم ليسوا على شيءٍ، فيضل ويهلك نعوذ باللّهِ؛ لأنه يرى أنَّ علمه فوق علمهم، وفهمه فوق فهمهم، وذكاؤه فوق ذكائهم، كما جرى لأصحاب الكلام، وأصحاب الحيرة من الجهمية، والمعتزلة وغيرهم من أهل البلاء، ظنوا أنَّهم مصيبون، وأنَّ أفهامهم فوق أفهام غيرهم، وأنَّ هؤلاء ما عندهم بصيرة، وأنهم بلداء، هكذا اعتقدوا فضلوا وأضلوا، نسأل الله العافية، أعطاهم اللّه أسماعًا، وأبصارًا، وأفئدة فما أغنت عنهم أسماعهم، ولا أبصارهم، ولا أفئدتهم من شيء؛ لأجل استكبارهم، وضلالهم عن الحقِّ، واستغنائهم عن النصوص، وزعمهم أنَّ النصوص لا تُفِيد عِلمًا، وإنَّما العلم يؤخذ من فهومهم وأرائهم، فلهذا هلكوا، وأهلكوا، نسأل الله العافِية.

فرحم اللّهُ المؤلف، وجزاه عمَّا فعل خيرًا، وهذا الكتاب الَّذي هو الحموية كتاب عظيم جديرٌ بالعناية، جدير بالحفظ لما فِيه من النقول عن السلف، وبيان الحقّ بأدلته، والرد على أهل الباطل من أهل

الكلام، والبدع، ومن الفلاسفة، والملاحدة، فهو كتاب عظيم مع اختصاره، ومع وضوحه، وهو فِي الحقيقة من أحسن ما كتبه المؤلف رحمه الله، وفق الله الجميع.

تم الفراغ من تدوين تعليقات سماحة شيخنا الشيخ/عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com




مدار الوطن للنشر
هاتف : ٤٢‏٠٩٦٦١١٤٧٩٢٠‏٠٠
فاكس : ٠٠٩٦٦١١٤٧٢٣٩٤١
www.madaralwatan.com
25


Madar-Alwatan
200505